أجاثا كريستي

جزيرة الموت

دار النجمة للنشر والتوزيع

جزيرة المَوْت

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

جزيرة المَوْت

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

-١-

جلس السيد جستيس وارجريف، القاضي المتقاعد حديثاً، في أحد أركان عربة التدخين الملحقة بعربات الدرجة الأولى من القطار، وهو ينفث دخان سيجاره ويتفحص باهتمام الأخبار السياسية بجريدة «التايمز».

ثم نحى جريدته جانباً وأخذ ينظر من النافذة. كان القطار يمر خلال سمسرت، ونظر إلى ساعته فوجد أنه ما يزال لديه ساعتان. وأخذ يستعيد في ذاكرته كل ما كتب عن «جزيرة نيجر»، مثل ما ذكر عن شرائها من قِبل مليونير أمريكي مغرم بسباق اليخوت، وعن القصر الفاخر الذي بناه على الشاطئ المقابل لجزيرة ديفون، ولكن الجزيرة والقصر في طريقهما الآن للبيع نتيجة لما ترتب على كون زوجة المليونير ملاّحة فاشلة. وظهرت إعلانات كثيرة في الصحف تعرض الجزيرة وما عليها للبيع، ثم ترامت أنباء سيئة تقول إن السيد أوين قد اشترى الجزيرة. وبعدها انطلقت شائعات محرري الاجتماعيات بالصحف فقالوا إن المشتري الحقيقي للجزيرة هو ممثلة السينما الأمريكية جابريل تيرل، وقالوا إنها ستكون

مقراً ملكياً أو مخبأ لشهر عسل اللورد «ل»، كما قالوا إن البحرية قد اشترتها لإجراء بعض التجارب السرية.

وأخرج السيد جستيس وارجريف من جيبه خطاباً. كان الخطاب مكتوباً بخط رديء، إلا أن بعض الكلمات هنا وهناك كانت تبدو واضحة:

عزيزي لورنس، كم من السنين قد مضت دون أن أسمع شيئاً عنك؟ يجب أن تحضر إلى جزيرة نيجر، أجمل مكان. الكثير الذي يستحق الحديث، الأيام القديمة، حمام الشمس، الثانية عشرة وأربعون دقيقة من بادنجتون. قابلني في أوكبريدج.

المخلصة: كونستاس كليمنجتون

وأجهد السيد جستيس وارجريف ذاكرته محاولاً تذكر آخر مرة التقى فيها بالليدي كونستاس كليمنجتون. من المحتمل أن ذلك كان منذ سبع أو ثماني سنوات مضت، كانت تتجه حينئذٍ إلى إيطاليا للتمتع بالطبيعة وأشعة الشمس، وسمع بعد ذلك أنها اتجهت إلى سوريا لزيادة التمتع بالطبيعة والشمس.

وقال لنفسه إن كونستاس كليمنجتون هي عين المرأة التي يمكن أن تشتري جزيرة لتحيط نفسها فيها بالغموض.

-٢-

ألقت فيرا كليثون برأسها إلى الوراء وأغمضت عينيها لتبعد نفسها عن زملائها الخمسة في السفر بعربة الدرجة الثالثة في القطار. يا له من قيظ ذلك الذي يصحب السفر بالنهار! سيكون

الوصول إلى شاطئ البحر رائعاً. لقد كان من حسن الحظ أن عثرت على هذه الوظيفة، فعندما تبحث عن عمل في العطلة فإن هذا يعني دائماً رعاية مجموعة من الأطفال، أما الحصول على أعمال سكرتارية فإنه شيء نادر، حتى مكتب التوظيف لم يكن لديه أي أمل في العثور على عمل لها.

وعند ذاك وصل إليها هذا الخطاب:

لقد تلقيت اسمك من مكتب تشغيل النساء الماهرات مصحوباً بالتوصيات اللازمة، وفهمت من الخطاب أنهم يعرفونك شخصياً. سيسرني أن أدفع لك الراتب الذي تحددينه، وسأكون في انتظارك لتبدئي بالعمل يوم ٨ أغسطس. استقلي قطار الثانية عشرة والدقيقة الأربعين من بادنجتون، وسينتظرونك في محطة أوكبريدج. مرفق طيه خمسة جنيهات لنفقات السفر.

المخلصة: إدنا ناس أوين

وفي أعلى الخطاب كان العنوان مطبوعاً: جزيرة نيجر، سيكلهافن، ديفون.

جزيرة نيجر؟ يا للغرابة! لم يكن للصحف من شاغل سواها في الفترة الأخيرة، بترديد كل أنواع اللغط والإشاعات المثيرة حولها، بالرغم من أن معظمها كانت كاذبة على الأرجح. ولكن من المؤكد أن المنزل قد بناه مليونير، وقيل إنه آخر صيحة في عالم الفخامة بالتأكيد.

كانت فيرا كليثون قد فكرت بعد أن أنهكها التعب خلال العام الدراسي وقالت لنفسها: "ليس بالشيء الرائع أن يكون

المرء مدرس ألعاب في مدرسة من الدرجة الثالثة. لو أنني أستطيع العمل في مدرسة محترمة". ثم فكرت والخوف يعتصر قلبها: "ولكنني محظوظة بالحصول على العمل الذي أشغله الآن، وعلى كل حال فالناس لا يحبون من يقدَّم للتحقيق معه في محكمة كورونر، حتى لو أن المحكمة قد حكمت ببراءته".

وتذكرت أيضاً أنه قد تم مدحها لحضور بديهتها وشجاعتها. ولقد كانت السيدة هاميلتون مثالاً للطيبة معها، أما هوجو... ولكنها لم تكن تهتم بهوجو.

وفجأة اقشعر بدنها رغم حرارة جو العربة وتمنت لو لم تكن ذاهبة إلى شاطئ البحر. رأت سيريل يطفو ويغوص وهي تسبح نحو الصخرة، يطفو ويغوص، يطفو ويغوص... تشق طريقها في الماء، وإن كانت تعرف بالتأكيد أنها لن تصل في الوقت المناسب. البحر، بقاعه العميق الدافئ الأزرق، وأوقات الصباح تمضي في استرخاء على الرمال. هوجو، هوجو هو الذي قال إنه أحبها... يجب ألاّ تفكر في هوجو.

وفتحت عينيها وحدقت في الرجل الجالس قبالتها. كان رجلاً طويلاً ذا وجه وعينين لامعتين وفم عنيد قاس. وقالت لنفسها: أراهن أنه قد زار بعض الأماكن الممتعة في العالم وأنه قد رأى أشياء مثيرة.

-٣-

لخص فيليب لومبارد رأيه في الفتاة الجالسة أمامه بعد أن رمقها بنظرة سريعة بأن قال لنفسه: "جذابة للغاية، وإن كانت تبدو كالمدرّسات". وتخيلها باردة الطباع من النوع الذي

يحافظ على نفسه في كل الظروف. ثم قطب وجهه وصرف تفكيره عنها: "إنك مقدم على عمل ويجب أن تركز ذهنك في هذا العمل". وتعجب فيما كانت عليه طبيعة الأمر، لقد كان ذلك الرجل غامضاً للغاية: إما أن تقبلها أو لا تقبلها يا كابتن لومبارد.

- أتقول مئة جنيه؟

لقد قالها بطريقة عادية وكأن مئة جنيه لا تعني شيئاً بالنسبة له، مئة جنيه في الوقت الذي كان يتناول فيه آخر وجبة له، وخيل إليه أن الرجل لم يُخدَع رغم ذلك، فشرّ ما في أولئك الوسطاء أنهم لا يمكن خداعهم فيما يمس النقود. وقال بنفس اللهجة العريضة: أوَلا يمكن أن تعطيني أية بيانات أخرى؟

وهز السيد موريس رأسه الأصلع بثقة قائلاً: نعم يا كابتن لومبارد، هذا كل ما في الأمر. من المفهوم لدى عميلي أنك رجل حسن السيرة ولكنك في ظروف سيئة، وفي مقدوري أن أسلمك مئة جنيه تسافر مقابلها إلى سيكلهافن في ديفون. إن أقرب محطة هي أوكبريدج وسينتظرونك هناك ثم ينقلونك بالسيارة إلى سيكلهافن حيث يقلك قارب بخاري إلى جزيرة نيجر، وهناك ستكون في ضيافة عميلي.

وقال لومبارد فجأة: والمدة؟

- لا تزيد عن أسبوع.

وقال كابتن لومبارد وهو يعبث بشاربه الصغير: أنت تفهم أنني لا أستطيع القيام بأي عمل غير قانوني.

كانت عينا الرجل الآخر تبرقان بنظرة حادة وهو يقول هذا الكلام، وظهرت ابتسامة باهتة جداً على شفتي السيد موريس وهو يجيب برصانة: لو أنك ترى أنني أقترح عليك القيام بأي عمل غير قانوني فبمقدورك أن تنسحب.

لعنة الله على الحيوان الصغير الأملس، لقد ابتسم كما لو أنه كان يعرف أن القانون لم يكن له مكان في ماضي لومبارد. وكشر لومبارد عن أنيابه!

-٤-

في إحدى العربات الممنوع فيها التدخين جلست الآنسة إميلي برنت منتصبة كعادتها. كانت في الخامسة والستين، ورغم هذا لم تكن تميل إلى الاسترخاء. لقد كان والدها كولونيلاً من الطراز العتيق، ولذا فقد كان حريصاً في هذه الأمور. إن الجيل الحاضر لكسول في تصرفاته وفي كل شيء آخر بصورة تبعث على الخجل!

وجلست الآنسة برنت -يقلقها الإحساس بتمسكها بمبادئها الحقة- في عربة الدرجة الثالثة وهي فخورة بكل ما فيها من مشقة وحرارة. وكانت شفتا الآنسة برنت مضمومتين جيداً، فقد كانت تريد أن تقتدي بفريق معين من الناس.

وتذكرت عطلة الصيف في العام الماضي، وعلى كل حال فإن عطلة هذا العام ستكون مختلفة تماماً في جزيرة نيجر. أخذت تستعيد في ذهنها الخطاب الذي كانت قد قرأته عدة

مرات من قبل:

عزيزتي الآنسة برنت،
أرجو أن تكوني ما زلت تذكرينني. لقد كنا معاً في منزل ضيافة في سيكلهافن في شهر أغسطس منذ عدة سنوات، حيث كنا نشترك في كثير من الميول.

إنني أشرع في إقامة منزل ضيافة خاص بي في جزيرة بالقرب من شاطئ ديفون، وأعتقد أنه من الضروري إيجاد مكان فيه طعام بسيط جيد وفريق من النساء من الطراز العتيق، مكان لا يوجد فيه تلك المنغصات ومكبرات الصوت التي تهدر في الليل. سأكون سعيدة لو أمكنك أن تقضي بعضاً من عطلة الصيف في جزيرة نيجر ضيفة عليّ دون تحمل أية نفقات. هل يناسبك أوائل أغسطس؟ الثامن من أغسطس مثلاً؟
المخلصة: ي. ن. و

ما هو اسمها؟ كان من الصعب قراءة التوقيع. وفكرت إميلي برنت بصبر نافد: الكثير من الناس يوقّعون بطريقة لا يمكن فهمها. وأخذت تستعيد في ذاكرتها الناس الذين التقت بهم في سيكلهافن: لقد أمضيت هناك عطلتَي صيف متتاليتين، وكانت هناك تلك السيدة اللطيفة التي كانت في مقتبل عمرها. اسمها الآنسة، الآنسة... ما اسمها؟ لقد كان أبوها من رجال القانون، وكانت هناك سيدة تدعى السيدة أولتون. لا، لقد كان اسمها بالتأكيد أوليفر. نعم، أوليفر.

جزيرة نيجر؟ لقد تذكرت بعض الأشياء التي قرأتها في الصحف عن جزيرة نيجر، أشياء عن ممثلة سينما أو عن

مليونير أمريكي... إن مثل هذه الأماكن رخيصة بالطبع، فالجزر لا تلائم كثيراً من الناس.

وقالت إميلي برنت لنفسها: سأقضي إجازة مجانية على كل حال.

-٥-

نظر الجنرال مكارثر من نافذة القطار بينما كان يدخل إكستر، حيث كان عليه أن يستقل قطاراً غيره. لعنة الله على تلك القطارات الفرعية البطيئة. لم يكن واضحاً له مَن يكون السيد أوين هذا، لا بد أن يكون واحداً من أصدقاء كل من سبون ليجارد وجوبي دابر، "إن واحداً أو اثنين من أصدقائك القدامى سيحضرون، وسيسعدهم أن يتحدثوا معك عن الأيام الخالية".

حسناً، سيسعده هو الآخر أن يتحدث عن الأيام الخالية. لقد بدأ يتوهم مؤخراً أن أصدقاءه القدامى يشعرون بالخجل منه، كل هذا بسبب تلك الإشاعة الملعونة. يا الله! لقد كان قاسياً... منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً. لقد تكلم أرميناج عن الموضوع فيما يعتقد. لعنة الله على الجرو الصغير، ما الذي يعلمه عن هذا الموضوع؟ حسناً، التفكير في هذا الأمر لن يفيده. إن المرء ليتخيل أشياء وهمية في بعض الأحيان، يتخيل مثلاً أن شخصاً ما يتفحصه باهتمام.

إنه متشوق الآن لرؤية هذه الجزيرة، جزيرة نيجر. لقد

دارت حولها كثير من الإشاعات، وضمن هذه الإشاعات أن البحرية أو الجيش أو الطيران قد وضع يده عليها. أما الذي بنى القصر عليها فهو ذلك المليونير الأمريكي الصغير ، ألمر روبسون. لقد أنفق الألوف من الجنيهات في بنائه كما قيل.

وها قد وصل إلى إكستر، وعليه أن ينتظر ساعة أخرى، وهو لا يريد الانتظار. إنه يريد الوصول إلى...

-٦-

كان الدكتور آرمسترونج يقود سيارته الموريسر في سهل ساليزبوري وقد نال منه التعب. إن للنجاح ضريبته. لقد مرت عليه أيام كان يقضيها جالساً في غرفة الكشف بعيادته في شارع هارلي المجهزة بأحدث المعدات وأفخرها، ينتظر خلال الأيام الفارغة نجاح مغامرته أو فشلها.

حسناً، لقد نجحت. وكان محظوظاً وماهراً، بالطبع كان ممتازاً في عمله، ولكن هذا لم يكن كافياً لكي ينجح. يجب أن يواتيك الحظ أيضاً، وقد واتاه تشخيص دقيق ومريضتان من الحافظات للجميل ذواتا مال ونفوذ، كي يرتفع صيته: "يجب عليك أن تستشيري آرمسترونج. إنه شاب صغير تماماً، ولكنه ماهر للغاية. لقد عالج كل أنواع الأمراض لسنوات عدة، وفي كل مرة كان يتوصل إلى بيت الداء لتوه".

ولقد وصل الدكتور آرمسترونج إلى ما كان يبتغيه، امتلأ وقته بالعمل ولم يعد لديه كثير من الفراغ. ولهذا فقد كان

مسروراً إذ يغادر لندن في هذا الصباح من شهر أغسطس في طريقه لكي يمضي أياماً فوق ثرى جزيرة بالقرب من شاطئ ديفون. إنها لن تكون إجازة بالمعنى الدقيق، فقد كان الخطاب الذي تلقاه غامضاً نوعاً ما، ولكن «الشيك» الذي صحبه لم يكن غامضاً بالمرة. كان الأجر مرتفعاً، ولا بد أن آل أدينز يتمرغون في الأموال! كان يبدو أن هناك بعض الصعوبات، زوج قلق على صحة زوجته ويريد تقريراً عنها دون علم زوجته، فهي لا تقبل فكرة عرض نفسها على طبيب، إن أعصابها...

أعصابها؟ وارتفع حاجبا الطبيب. يا لتلك النسوة بأعصابهن المتعبة دائماً! حسناً، إنه لعمل مريح على كل حال. إن نصف النساء اللاتي يستشرنه ليس بهن سوى الملل، ولكنهن لن يشكرن لك إخبارهن بهذا، ويستطيع المرء أن يجد لهن علة ما.

لقد كان من حسن حظه أن استطاع أن يجمع شتات نفسه بعد ذلك العمل. منذ عشرة، لا، بل منذ خمسة عشر عاماً... لقد كاد أن يحطمه، ولكن الصدمة أعادت إليه تماسكه. كان قد أقلع عن الشراب كلية. يا الله! لقد كانت الهوة قريبة جداً، رغم...

ومرت بجواره سيارة بسرعة ثمانين ميلاً وهي تطلق بوقها بصورة مزعجة، وكاد الدكتور آرمسترونج ينحرف إلى المستنقع. لا بد أنه أحد هؤلاء المجانين الصغار الذين يذرعون الريف بسرعة مخيفة. لشد ما يكرههم!

-٧-

فكر توني مارستون وهو يمر بسيارته خلال بلدة مير قائلاً: إن عدد السيارات التي تزحف على الطرق كبير جداً، وكثيراً ما تجد شيئاً يسد الطريق أمامك. إن مسألة القيادة في إنجلترا تثير الشفقة. ليس الأمر هنا كفرنسا حيث يمكنك أن تطلق العنان لنفسك.

هل يمكنه أن يتوقف ليتناول كأساً أم يمضي في طريقه؟ لا يزال أمامه الكثير من الوقت، فليس أمامه سوى مئة ميل أخرى أو أكثر قليلاً. من المستحسن أن يتناول كأساً من العصير في هذا اليوم الحار. لو أن الجو استمر هكذا فستكون تلك الجزيرة متعة رائعة. مَن يكون آل أدنيز هؤلاء؟ من المحتمل أنهم قوم أغنياء بخلاء، لقد كان بادجر ذا فراسة في تشمم مثل هؤلاء القوم لأول وهلة. بالطبع، كان يجب أن يكون كذلك نظراً لعدم امتلاكه أية أموال.

وبعد أن خرج من المقهى تمطى وتثاءب ثم صعد إلى سيارته. ورمقه العديد من النساء بنظرات الإعجاب، فقد كان ذا قوام ممشوق فارع ووجه جميل وعينين زرقاوين.

-٨-

كان السيد بلور يستقل القطار البطيء الذي يقوم من بلايموث، ولم يكن في العربة سوى راكب آخر كبير أعمش عليه سيماء البحر. وفي هذه اللحظة كان قد أخلد للنعاس.

وكان السيد بلور يدون شيئاً في مذكراته باهتمام، وغمغم لنفسه قائلاً: هذه قائمة بالمجموعة: إميلي برنت، فيرا كليثون، الدكتور آرمسترونج، جستيس وارجريف العجوز، فيليب لومبارد، الجنرال مكارثر، س.م.ج، د.س.و، وخادمان (هما السيد روجرز وزوجته).

وأغلق مذكرته وأعادها إلى جيبه، ونظر بطرف عينيه إلى الرجل النائم. وبينما كان يتفحص نفسه بدقة في مرآة القطار غمغم لنفسه قائلاً: "إنني أبدو كما لو كنت ميجور. آه، لقد نسيت، هنالك ذاك الجندي وقد يفطن إلى حقيقتي على الفور. جنوب أفريقيا؟ هذا هو موطني، ليس لأحد من هؤلاء القوم أية علاقة بجنوب أفريقيا. لقد فرغت من قراءة كتاب بشأنها فيمكنني أن أتحدث عنها دون خطأ، ولحسن الحظ يوجد الكثير من رجال المستعمرات". وأحس السيد بلور أنه يمكنه أن يدخل زمرة المجتمع الراقي كرجل ثري قادم من جنوب أفريقيا.

«جزيرة نيجر»... صخور ذات رائحة مميزة بالأعشاب على بعد ميل واحد من الشاطئ، ولقد أُطلق عليها هذا الاسم لمشابهتها لرأس رجل ذي شفتين زنجيتين. يا لها من فكرة مضحكة أن يقام بيت عليها! سيكون مزعجاً في الأجواء الرديئة، ولكن لذوي الثراء نزواتهم.

واستيقظ العجوز النائم وقال: لا يمكنك التنبؤ بالبحر أبداً.

قال السيد بلور مهدئاً: هذا حق، لا يمكنك.

وأصيب العجوز بالشهقة مرتين، ثم قال: هناك عاصفة تقترب.

فقال السيد بلور: كلا يا رفيقي، إنه ليوم جميل.

فقال العجوز بغضب: إن عاصفة تقترب، يمكنني أن أتنسمها.

فقال السيد بلور بهدوء: ربما تكون على صواب.

وتوقف القطار عند إحدى المحطات فوقف العجوز بثبات وقال: سأنزل هنا.

وساعده السيد بلور، وتوقف العجوز بالباب ورفع يده وهو يقول بصوت هادئ رخيم: ترقّب وادعُ الله، ترقب وادعُ الله، إن يوم الحساب على الأبواب.

ونزل إلى رصيف المحطة ونظر إلى السيد بلور بعظمة وقال: إنني أخاطبك أيها الشاب، إن يوم الحساب لجد قريب.

وفكر السيد بلور وهو يعود إلى مقعده: إنه لأقرب مني إلى يوم الحساب.

ولكنه كان مخطئاً كما أثبتت الأحداث!

* * *

الفصل الثاني

-١-

وقفت مجموعة صغير من الناس خارج محطة أوكسبريدج في تردد قصير، وخلفهم وقف الحمالون حول حقائب السفر. وصاح أحد هؤلاء الحمالين قائلاً: جيم.

وخطا أحد سائقي عربات الأجرة إلى الأمام للتو، وتساءل السائق بلهجة أبناء ديفون: أنتم تقصدون جزيرة نيجر على ما أظن؟

وبادرت أربعة أصوات تجيب بالإيجاب، وبعدها وعلى الفور أخذ بعضهم يتفحص البعض الآخر في ريبة.

وقال السائق موجهاً الكلام إلى السيد جستيس وارجريف بصفته أكبر الموجودين سناً: هنا عربتان يا سيدي، ويجب أن تنتظر إحداهما وصول القطار البطيء القادم من إكستر، وسيصل بعد خمس دقائق يقل سيداً آخراً. من المحتمل ألا يضير أحدكم الانتظار، سيكون في هذا راحة أكثر لكم.

وتكلمت فيرا كليثون على الفور (مدفوعة بشعورها بوصفها سكرتيرة) قائلة: أنا سأنتظر إذا فضلتم أنتم الرحيل.

وتفحصت الثلاثة الآخرين بنظرها. كان في صوتها ونظرتها ذلك المعنى الذي ورثته من شغلها لوظيفتها، فلقد اعتادت أن تدبر كل مباريات التنس التي كانت تلعبها طالباتها.

وقالت الآنسة برنت بخشونة: شكراً، ثم حنت رأسها ودخلت إحدى سيارتي الأجرة حيث كان السائق يمسك لها بالباب مفتوحاً. وتبعها السيد جستيس وارجريف. وقال الكابتن لومبارد: أما أنا فسأنتظر مع الآنسة...

- كليثون.

- وأنا اسمي لومبارد، فيليب لومبارد.

وبينما كان الحمالون يضعون الحقائب في سيارة الأجرة قال السيد جستيس وارجريف بحذر قانوني: إن الجو لجميل اليوم.

فقالت الآنسة برنت: نعم، بالتأكيد.

وفكرت في نفسها بأن رفيقها رجل عجوز محترم للغاية ليس على طراز أحد من نزلاء منازل الضيافة على شاطئ البحر. من الواضح أن الآنسة أو السيدة أوليفر لها معارف محترمون.

وتساءل السيد جستيس وارجريف قائلاً: هل تعرفين هذه البقعة من المعمورة جيداً؟

- لقد سبقت لي زيارة كورنول وتوركواي، إلا أن هذه أول مرة أحضر فيها إلى ديفون.

فقال القاضي: وأنا كذلك، ليس لي معرفة سابقة بهذا المكان.وتحركت سيارة الأجرة، وقال سائق السيارة الأخرى للشخصين اللذين بقيا: هل تحبان أن تستريحا أثناء الانتظار؟

فقالت فيرا مؤكدة: لا، أبداً.

وابتسم الكابتن لومبارد وهو يقول: هذا الجدار يبدو جذاباً، إلا إذا كنت تفضلين الدخول إلى المحطة.

- لا، أبداً. إنه لمن الممتع أن يخرج المرء من ذلك القطار المعتم.

- نعم، إن السفر بالقطارات مرهق للغاية في هذا الجو.

- أرجو أن يستمر هكذا... أقصد الجو. إن الصيف في إنجلترا لخدّاع.

- هل تعرفين هذا المكان؟

قالت: لا، لم يسبق لي الحضور إلى هنا أبداً. ثم أضافت في سرعة عجيبة توضيحاً لموقفها: بل لأنا حتى لم أرَ مخدومتي.

- مخدومتك؟

- نعم، أنا سكرتيرة السيدة أوين.

- آه، فهمت.

وتغيرت لهجته، أصبحت أكثر ثقة وهو يضيف: أوَليس غريباً بعض الشيء؟

وضحكت فيرا وهي تقول: لا أعتقد هذا. لقد مرضت سكرتيرتها الخاصة فجأة فأبرقت لمكتب العمل تطلب بديلاً لها فأرسلوني إليها.

- وهكذا تم الأمر إذن؟ وأعتقد أنك لن تحبي العمل عندما تصلين إلى هناك.

وضحكت فيرا مرة ثانية وقالت: إنه عمل مؤقت، وظيفة في العطلة. إن لدي عملاً دائماً في إحدى مدارس البنات. في الواقع أنا أهاب جزيرة نيجر، فقد كان هناك الكثير من اللغو عنها في الصحف مؤخراً. أهي جميلة حقاً؟

فقال لومبارد: لا أدري، لم تسبق لي رؤيتها.

- حقاً؟ إن آل أوين مغرمون بها للغاية على ما أعتقد. كيف يبدون؟ أخبرني من فضلك.

وفكر لومبارد: هذا شيء محرج. أمن المفروض أن أكون قد قابلتهم أم لا؟ ثم قال بسرعة: توجد حشرة تزحف على ذراعك. لا، لا تتحركي.

ثم تظاهر بالإمساك بها وهو يقول: لقد أمسكتها.

- شكراً، هناك كثير من الحشرات بسبب الحرارة.

- نعم، إنها الحرارة على ما أعتقد. مَن تنتظرين؟ هل عندك فكرة؟

- ليست لدي أية فكرة.

وعندئذٍ سمعا صوت صفير القطار يقترب، وقال لومبارد: ها هو القطار قد وصل.

وخرج من باب المحطة رجل طويل طاعن في السن عليه سيماء العسكرية. كان شعره الرمادي مصففاً وشاربه الأبيض مقصوصاً بعناية، وأشار الحمال وهو يترنح تحت الأثقال التي يحملها إلى فيرا ولومبارد. وتقدمت فيرا وهي تقول: أنا سكرتيرة

السيدة أوين. هناك سيارة تنتظرنا، وهذا هو السيد لومبارد.

وتركزت العينان الزرقاوان الخابيتان على لومبارد، وللحظة بدا فيهما حكم ما، هل قرأه أي أحد؟ شخص حسن المنظر ولكن فيه خطأ ما.

ودلف ثلاثتهم إلى السيارة المنتظرة، وسارت بهم السيارة في شوارع مدينة أوكبريدج الهادئة، ثم استمرت تسير لمسافة ميل على طريق تليمون الرئيسي، وبعدها دلفت إلى شبكة من الطرق الريفية الضيقة.

قال الجنرال مكارثر: هذا المكان جميل حقاً. التلال والأرض الحمراء، كل شيء في اخضرار وانتعاش.

وقال فيليب لومبارد منتقداً: ولكنه غامض نوعاً ما. أنا شخصياً أفضّل الأماكن المتفتحة حيث يمكنك أن ترى ما يقترب منك.

فقال له الجنرال مكارثر: أعتقد أنك رأيت جزءاً من العالم.

فهز لومبارد كتفيه بلامبالاة وقال: لقد ذهبت إلى بعض الأماكن يا سيدي. وقال لنفسه: سيسألني الآن عما إذا كنت كبيراً في السن بحيث تمكنت الاشتراك في الحرب أم لا. هؤلاء الكبار يلقون دائماً بهذا السؤال.

ولكن الجنرال مكارثر لم يذكر شيئاً عن الحرب.

-٢-

وصلوا إلى تل منحدر من ورائه طريق متعرج قادهم إلى بلدة سيكلهافن، وهي عبارة عن مجموعة من الأكواخ وقارب للصيد وآخرين راسيين فوق الرمال. ومن هناك وقع نظرهم -لأول مرة- على جزيرة نيجر التي كانت تحت أشعة الشمس. وخارج خان صغير يدعى خان النجوم السبعة كان يقف ثلاثة أشخاص، وكانوا هم الثلاثة الذين سبقوهم في السيارة الأخرى.

- ظننا أنه من الأفضل أن ننتظركم هنا لكي نمضي معاً. اسمحوا لي بأن أقدم نفسي: اسمي دافيس، من مواليد جنوب أفريقيا.

ثم ضحك بغلظة. ونظر إليه القاضي بضيق، كان يبدو وكأنه كان يتمنى أن يأمر بإخلاء قاعة المحكمة! أما الآنسة إميلي فلم تكن قد قطعت برأيها بعد فيما إذا كانت تحب رجال الجيش أم لا.

وتساءل السيد دافيس بكرم: هل يود أحدكم تناول شيء قبل أن نشرع في الرحيل؟

ولما لم يتقبل أحد منهم دعوته استدار ورفع إصبعه وهو يقول: لا داعي إذن للتأخر، فإن مضيفينا الكريمين في انتظارنا.

ولابد أنه قد لاحظ أن ضيفاً غريباً قد حل على باقي الموجودين، كما أحس كأن ذكر مضيفهم قد أحدث تأثيراً غريباً على الضيوف. وتقدم رجل كان يستند على جدار قريب استجابة لإشارة إصبع دافيس، وكان منظره يوحي بأنه من رجال

البحر، وقال لهم بلهجته المحلية: هل أنتم مستعدون للرحيل إلى الجزيرة سيداتي وسادتي؟ إن القارب في انتظاركم، هناك سيدان سيحضران بسيارتيهما، ولكن أوامر السيد أوين تقضي بألا ننتظرهما، إذ أن موعد وصولهما ليس محدوداً.

ونهض أفراد الجماعة من مجلسهم، وقادهم البحار إلى مرسى صخري صغير يقف إلى جواره قارب بخاري. وقالت إميلي برنت: ولكن هذا قارب صغير جداً.

قال البحار بإغراء: إلا أنه قارب رائع يا سيدتي. إنه ينقلك إلى بلايموث في غمضة عين.

وقال السيد جستيس وارجريف بحدة: إن عددنا كبير بالنسبة لمثل هذا القارب.

- إنه يتسع لضعف عددكم يا سيدي.

قال فيليب لومبارد بصوته المرح السلس: لا بأس به، فإن الجو رائع ولن تهب أية رياح شديدة.

وسمحت له الآنسة برنت بمساعدتها على النزول إلى القارب والشك يملأ قلبها، وتبعها الآخرون في الحال. وكانوا على وشك الانطلاق عندما توقف الملاح وهو ممسك بالمرساة في يده، فقد أقبلت سيارة قوية رائعة الجمال عبر الطريق المنحدر، وإلى عجلة القيادة كان يجلس شاب صغير وقد عبث الهواء بخصلات شعره. وفي ضوء الغسق بدا الشاب كأحد التماثيل أكثر مما كان يبدو كرجل من بني البشر.

وضغط على بوق سيارته فرددت صخور الخليج صدى

صوته. كانت لحظة خيالية، وفي أثنائها بدا أنتوني مارستون أكثر من أن يمت إلى عالم الأحياء.

ولقد تذكر كثير من أعضاء الرحلة هذه اللحظة فيما بعد.

-٣-

راح فريد ناركوت -وهو يجلس إلى محرك القارب- يحملق في هذه المجموعة الغريبة. لم يكن يتوقع أبداً أن يكون ضيوف السيد أوين على هذه الشاكلة. كان يتوقع أن يكونوا رجالاً ونساء أكثر تشابهاً، حسني الهندام في ملابس بحرية، ذوي ثراء وأهمية. إنهم لا يبدون أبداً على شاكلة ضيوف السيد ألمر روبسون. وارتسمت على وجه فريد ناركوت ابتسامة غيظ وهو يتذكر ضيوف المليونير. أولئك هم الضيوف وإلا فلا! ولكن يبدو أن السيد أوين من طراز مختلف من الناس. وفكر فريد في أنه من العجيب ألا تقع عينه حتى الآن... كلا، لم يحضر بعد. كل شيء ينظم وتدفع تكاليفه عن طريق السيد توريس، ودائماً تكون التعليمات واضحة للغاية والدفع فورياً، ورغم ذلك فإن الأمر يبدو غريباً. لقد ذكرت الصحف أن هناك سراً في مسألة أوين، وإنه ليوافقها على هذا الظن. ربما تكون الآنسة جابريل تيرل هي التي اشترت الجزيرة... ولكن هذه الفكرة تبخرت من رأسه وهو يتفحص الضيوف. ليسوا هؤلاء، لا يبدو على أحد منهم أن له صلة بنجمة سينمائية! عانس عجوز من النوع العصبي (إنه يعرفهن جيداً)، ورجل عسكري عجوز ذو مظهر عسكري قح، وسيدة لطيفة ولكنها من النوع العادي، ليس هناك بهرجة

في مظهرها وليس فيها لمسة واحدة من هوليود. وهذا السيد المرح السمين، لا يبدو عليه أنه سيد من الطبقة الراقية، لا بد أنه تاجر متقاعد. أما السيد الآخر، ذلك السيد النحيل ذو المظهر الجائع والنظرة السريعة فإنه شخص غريب، من المحتمل أن يكون على علاقة ما بالعالم السينمائي.

لم يكن هناك سيد يبعث على الطمأنينة سوى واحد فقط... الراكب الأخير، ذلك الذي وصل في سيارة (ويا لها من سيارة لم ترَ مثلها سيكلهافن من قبل! لا بد أن ثمنها يبلغ المئات والمئات!). إنه من الطراز الحقيقي، ولد في ميسرة. لو أن المجموعة كانت كلها على شاكلته!

لقد كانت العملية كلها غريبة، غريبة جداً.

– ٤ –

والتفّ القارب حول الصخرة، وأخيراً ظهر المنزل للأنظار. لقد كانت الناحية الجنوبية من الجزيرة مختلفة تماماً، كانت تنحدر بيسر إلى البحر، وكان المنزل يقف مواجهاً للجنوب، منخفضاً ومربعاً ومن طراز حديث ذي نوافذ عريضة تسمح بدخول أكبر كمية ممكنة من الضوء. منزل مثير، منزل يحمل كل أنواع الاحتمالات.

وأوقف فريد ناراكوت محرك القارب، فتسلل القارب بخفة من خلال مرسى طبيعي وسط الصخور. وقال فيليب لومبارد بحدة: لا بد أنه من الصعوبة بمكان أن نصل إلى هنا خلال العاصفة.

فرد عليه فريد ناركوت بمرح: لا يمكن الوصول إلى جزيرة نيجر خلال العاصفة، وقد يدوم الحال على هذا لمدة أسبوع أو أكثر.

وقف القارب وراء الصخور، فقفز فريد ناراكوت إلى الشاطئ وأخذ هو ولومبارد يساعدان الآخرين على النزول. وبعد ذلك قادهم إلى بعض السلالم المنحوتة في الصخور.

قال الجنرال مكارثر: آه، يا لها من بقعة جميلة!

ولكنه لم يشعر بالارتياح، يا له من مكان لعين!

وعندما انتهت المجموعة من ارتقاء السلالم ووصلوا إلى شرفة في أعلاها انتعشت معنوياتهم. وفي مدخل باب المنزل كان ينتظرهم ساقٍ أنيق طمأنهم منظره الجاد، والمنزل نفسه كان جذاباً للغاية والمنظر من الشرفة كان رائعاً. وتقدم الساقي إلى الأمام وهو ينحني انحناءة خفيفة. كان رجلاً طويلاً هزيلاً ذا شعر أشيب ومظهر محترم، وقال لهم: هلا تفضلتم من هذا الطريق؟

وفي الردهة الفسيحة كان الشراب معداً... صفوف من الزجاجات، وارتفعت معنويات أنتوني مارستون قليلاً. كان على وشك التفكير في أن الذي يحدث إنما هو استعراض سخيف ليس من مقامه. ما الذي كان يفكر فيه بارجر العجوز عندما دعاه وسط هذه المجموعة؟ على كل حال كانت المشروبات على ما يرام ومعها كثير من الثلج.

– ٥ –

ما الذي يقوله الساقي؟ إن السيد أوين -للأسف- لن يستطيع لقياهم حتى الغد نظراً لتأخره في الوصول! وكانت التعليمات أن يُقدَّم لهم أي شيء يطلبونه. هل يريدون الذهاب إلى غرفهم؟ سيكون العشاء معداً في الثامنة تماماً.

وتبعت فيرا السيد روجرز (الخادم) وزوجته إلى أعلى. كانت المرأة قد فتحت باب غرفة في نهاية الممر فدخلت فيرا من خلاله إلى غرفة نوم بديعة ذات نافذة عريضة تطل على البحر ونافذة أخرى ناحية الشرق، وأطلقت صيحة سرور خاطفة بينما كانت السيدة روجرز تقول: آمل أن يكون هنا كل شيء تريدينه يا آنستي.

ونظرت فيرا حولها. كانت حقائبها قد وصلت وأفرغت محتوياتها، وفي أحد جوانب الغرفة كان هناك باب يؤدي إلى حمام أزرق اللون. قالت فيرا بسرعة: نعم، كل شيء على ما أعتقد.

- إذا احتجت إلى شيء يا آنستي فما عليك إلا أن تضغطي الجرس.

كان صوت السيدة روجرز يبعث على الملل، ونظرت إليها فيرا تتفحصها. يا لها من امرأة شاحبة كالأشباح! امرأة ذات مظهر محترم للغاية وشعرها أسود مشدود خلف رأسها وملابسها سوداء، وكانت عيناها ذواتي لون فاتح تتحرك في كل الاتجاهات. وفكرت فيرا: إنها تبدو خائفة حتى من شبحها هي. نعم، كانت هذه هي الحقيقة، خائفة. كانت تبدو كامرأة تعيش في خوف أبدي!

وسرت رعدة خفيفة في ظهر فيرا. ما الذي كان يخيف المرأة بحق السماء؟ وقالت بمرح: أنا سكرتيرة السيدة أوين، أعتقد أنك تعرفين هذا.

- لا يا آنسة، إنني لا أعرف شيئاً. كل ما أعرفه هو قائمة بأسماء الضيوف وبغرفهم.

- ألم تذكرني السيدة أوين؟

ارتجفت رموش السيدة روجرز وهي تقول: أنا لم أرَ السيدة أوين حتى الآن. لقد حضرنا إلى هنا منذ يومين فقط.

يا لآل أوين من قوم غرباء! هكذا فكرت فيرا، ثم قالت بصوت مرتفع: من هم الذين يعملون في هذا المنزل؟

- أنا وزوجي يا آنسة.

وقطبت فيرا. ثمانية أشخاص في المنزل، بل عشرة إذا أضفنا إليهم مضيفيهم، كل هؤلاء يخدمهم اثنان فقط؟!

قالت السيدة روجرز: أنا طاهية وزوجي كفء في إدارة المنزل. لم أكن أعرف -بالطبع- أنه سيكون هنا هذا العدد الكبير من الضيوف.

- ولكن هل تقدران على إدارة المنزل؟

- بالطبع يا آنستي، إذا حدث وكانت هناك حفلات كبيرة فلا بد أن السيدة أوين ستستعين بخدم إضافيين.

- أعتقد ذلك.

واستدارت السيدة روجرز لتنصرف. كانت قدماها تتحركان على الأرض دون صوت وخرجت من الغرفة مثل شبح. ومضت فيرا إلى النافذة وجلست إلى مقعد بجوارها. كانت متوترة إلى حد ما، فكل شيء بدا غريباً على نحو ما: غياب آل أوين، السيدة روجرز الشاحبة التي كانت تبدو كالأشباح، والضيوف... نعم، إن الضيوف غرباء أيضاً، إنهم مجموعة غريبة التكوين. وفكرت: أتمنى لو كنت قد التقيت بآل أوين، أتمنى لو أعرف كيف يبدو هذان الزوجان.

ثم نهضت وأخذت تدور في الحجرة. غرفة مثالية مزخرفة على آخر طراز: قطع السجاد الأبيض تغطي الأرض اللامعة، وحوائط مدهونة بألوان قاتمة، ومرآة طويلة تحيط بها الأضواء، ورف خالٍ إلا من تمثال رخامي لدب وقطعة من النحت الحديث تحتوي على ساعة، وفوقها رقعة مستديرة في إطار جميل تحتوي على قصيدة:

ذهب عشرة أطفال للعشاء
وغص أحدهم ومات، فلم يبق منهم سوى تسعة
وسهر تسعة أطفال إلى وقت متأخر
ونعس واحد منهم، فلم يبقَ سوى ثمانية
ثمانية أطفال يرحلون إلى ديفون
وقال واحد منهم إنه سيبقى، فلم يعد هناك سوى سبعة
سبعة أطفال يقلّمون فروع الشجر
ومات واحد منهم فلم يبق سوى ستة
ستة أطفال يلعبون بخلية نحل
ولدغت نحلة واحداً منهم فلم يبق سوى خمسة
وذهب خمسة أطفال إلى المحكمة

وحجز واحد منهم في تشانزي فلم يبق سوى أربعة
أربعة أطفال يمضون إلى البحر
وابتلع الحوت واحداً منهم، فلم يبق سوى ثلاثة
ثلاثة أطفال ذاهبون إلى حديقة الحيوان
واغتال الدب الكبير أحدهم فلم يبق سوى اثنين
طفلان يجلسان في الشمس
وحرقت الشمس أحدهما فلم يبق سوى واحد
طفل بقي وحيداً
فشنق نفسه، فلم يعد هناك أحد

وابتسمت فيرا. بالطبع، إننا في جزيرة نيجر! وعادت تجلس إلى النافذة وتنظر إلى البحر. ويا له من بحر عريض! من هنا لا يمكن رؤية الشاطئ الآخر، لا شيء سوى مياه زرقاء تلمع تحت أشعة الغروب.

البحر هادئ للغاية اليوم، لكنه يكون قاسياً في بعض الأحيان. البحر الذي جرّك إلى أعماقه، غرقت... وُجدت غريقة في البحر. غرقت، غرقت، غرقت...

لا، يجب ألا تتذكر، يجب ألا تفكر في الأمر. لقد انتهى كل هذا.

-٦-

وصل الدكتور آرمسترونج إلى جزيرة نيجر في نفس اللحظة التي كانت الشمس فيها تختفي في البحر، وخلال الطريق كان قد تبادل الحديث مع البحار. رجل إقليمي كان

متحفزاً لمعرفة القليل عن هؤلاء الناس الذين يملكون جزيرة نيجر، ولكن ذلك البحار (ناركوت) كان يبدو جاهلاً بهم لدرجة مثيرة، أو ربما لم يكن على استعداد للحديث.

وهكذا تكلم الدكتور آرمسترونج -بدلاً من هذا- عن الطقس والصيد. كان متعباً بعد قيادته السيارة لمسافة طويلة، وكانت حدقتاه تؤلمانه. إن القيادة تجاه الغرب تعني القيادة ضد اتجاه الشمس. نعم، كان متعباً جداً. البحر والهدوء التام... هذا هو كل ما يحتاج إليه. إنه يود قطعاً الحصول على إجازة طويلة، ولكنه لم يكن يستطيع الابتعاد عن مرضاه. إن الإنسان سرعان ما يطويه النسيان هذه الأيام. وفكر قائلاً لنفسه: وعلى كل حال فعليّ هذا المساء أن أتخيل أنني لن أعود وأنني قد هجرت لندن وشارع هارلي وكل ما يتعلق به. إن هناك أشياء خيالية حول الجزر، إن كلمة جزيرة نفسها تثير الخيال؛ هناك تفقد الاتصال بالعالم، فالجزيرة عالَم مستقل، عالم من المحتمل ألا تعود منه.

وعاد يفكر قائلاً لنفسه: "إنني أترك خلفي حياتي العادية". وابتسم وأخذ يرسم لنفسه خططاً خيالية للمستقبل، وكان لا يزال يبتسم وهو يصعد الدرج الصخري. ورأى في الشرفة سيداً عجوزاً يجلس على مقعد. كان شكل الرجل مألوفاً لدى الدكتور آرمسترونج. أين رأى وجه الضفدعة هذا وهذه الرقبة الشبيهة برقبة السلحفاة وهاتين العينين الشاحبتين؟ بالطبع، إنه وارجريف العجوز! لقد أدى الشهادة أمامه يوماً ما. إنه دائماً نصف نائم ولكنه دائماً ثاقب الفكر فيما يتصل بالقانون. كانت له سلطة كبيرة على المحلفين، وكان يقال إنه يستطيع أن

يشكل أفكارهم في أي يوم من أيام الأسبوع، وبعض الناس يسمونه قاضي الإعدام. يا له من مكان عجيب كي يلقاه المرء فيه، هنا، بعيداً عن العالم!

-٧-

فكر السيد جستيس قائلاً في نفسه: آرمسترونج؟ أذكره في مقعد الشهود. إنه لدقيق حذر. كل الأطباء مغفلون ملعونون، وأطباء شارع هارلي أكثرهم لعنة.

ثم صاح بصوت عال: الشراب في الردهة.

فقال آرمسترونج: يجب أن أذهب لأحيي أصحاب المنزل.

فعاد السيد جستيس وارجريف إلى إغلاق عينيه وهو يقول: لن يمكنك أن تفعل هذا.

فدُهِش الدكتور آرمسترونج وقال: ولِمَ لا؟

- لا يوجد هنا لا مضيف ولا مضيفة. شيء غريب، لا أستطيع أن أفهم كنه هذا المكان.

جمد الدكتور آرمسترونج للحظة، وعندما خيل إليه أن الرجل العجوز قد عاوده نومه إذا بوارجريف يقول: هل تعرف كونستاس كليمنجتون؟

- لا، أخشى ألاّ أكون قد عرفتها من قبل.

- ليس لهذا أهمية، إنها امرأة غامضة للغاية وخطها لا يمكن قراءته أبداً. كنت أتساءل لتوي فيما إذا كنت قد أخطأت

المنزل المقصود.

هز الدكتور آرمسترونج رأسه ودخل المنزل، وفكر السيد وارجريف في موضوع كونستاس كليمنجتون هذه. إنها سيدة لا يمكن الاعتماد عليها أبداً. وفكر في المرأتين الأخريين الموجودتين بالمنزل، العانس المطبقة الفم والفتاة الأخرى. ولم تكن الفتاة تعنيه، تلك الفتاة الخبيثة الباردة. إنهن ثلاث نساء (إذا أخذنا السيدة روجرز بالاعتبار). إنها مخلوقة غريبة، تبدو وكأنها تكاد تموت من الخوف.

- هل تعرف ما إذا كان من المنتظر حضور الليدي كونستاس كليمنجتون؟

نظر إليه روجرز بدهشة قائلاً: كلا يا سيدي فيما أعلم.

وارتفع حاجبا القاضي وكاد يقول شيئاً، لكنه غمغم فقط بصوت مبهم وفكر قائلاً: جزيرة نيجر؟ هيه!

-٨-

كان أنتوني مارستون يأخذ حماماً ممتعاً بالماء الساخن، وكانت عضلات ذراعه قد تصلبت من القيادة الطويلة، ولم يتخلل رأسه سوى القليل من الأفكار.

لقد خُلق أنتوني للعمل وللمتعة، وفكر: هل يجب عليّ أن أمضي في الأمر؟ أعتقد هذا.

وبعد ذلك أبعد كل الخواطر عن رأسه. ماء دافئ

وعضلات متعبة، وبعد هذا يتناول مشروباً وبعده يتناول العشاء. وبعد ذلك...

-٩-

كان السيد بلور يفك رباط عنقه، ولم يكن يجيد مثل هذا العمل. هل كان يبدو على ما يرام؟ إنه يعتقد هذا. لم يكن أحد منهم ودوداً معه. كانت الطريقة التي أخذ كل منهم يرمق بها زميله مضحكة كما لو كانوا يعرفون! حسناً، لقد كان الأمر يرجع إليه. لم يكن ينوي أن يبخس عمله.

ورمق القصيدة الموضوعة فوق الرف. إنها للمسة رائعة أن توضع هذه القصيدة في هذا المكان. وفكر: إنني أذكر جزيرة نيجر عندما كنت صبياً صغيراً. لم أفكر أبداً بأن أقوم بمثل هذا العمل في منزل هنا. ربما كان من الأفضل ألا يحاول الإنسان تخيل مستقبله.

-١٠-

كان الجنرال مكارثر مقطب الوجه.

لعنة الله على الأمر كله، فليس فيه ما كان قد توقعه! كان يجب عليه أن يعتذر ويلقي بالأمر كله جانباً. ولكن القارب البخاري قد عاد إلى مرساه الأول، ومن المحتم عليه أن يبقى.

إن لومبارد، ذلك الشخص الغريب، ليس صريحاً. إنه ليقسم بأن الرجل ليس صريحاً!

-١١-

ما إن دق الجرس حتى خرج فيليب لومبارد من غرفته وسار إلى أول الدرج. كان يسير كفهد بخفة وبلا صوت، وكان فيه شيء من صفات الفهد: حيوان صيد جميل ممتع النظر.

كان يبتسم لنفسه. أسبوع... يجب أن يستمتع بهذا الأسبوع.

-١٢-

ارتدت الآنسة إميلي برنت في غرفتها ثوباً حريرياً أسود استعداداً لتناول العشاء، ثم أخذت تحرك شفتيها وهي تقرأ من كتاب ديني بيدها: "وسقط الكفرة في الحفرة التي حفروها، وسقطت أقدامهم في الشبكة التي وضعوها".

ثم أطبقت شفتيها بإحكام وأغلقت الكتاب.

* * *

الفصل الثالث

-١-

كانوا على وشك الانتهاء من تناول عشائهم. كان الطعام جيداً وقام روجر بخدمتهم على خير وجه، وكانت معنوياتهم كلهم في حالة أحسن إذ بدؤوا يتحدث بعضهم إلى بعض في حرية وألفة زائدتين.

وكان السيد جستيس وارجريف (وقد خدره الشراب) قد بدأ يتكلم بحديث ساخر بينما يستمع إليه الدكتور آرمسترونج وتوني مارستون، والآنسة برنت تثرثر مع الجنرال مكارثر بعد أن اكتشفا وجود معارف مشتركة لكليهما، وفيرا كليثون توجه إلى السيد دافيس أسئلة ذكية بشأن جنوب أفريقيا، وكان حديث السيد دافيس يدور حول هذا الموضوع دفّاقاً فأنصت إليه لومبارد.

وفجأة قال أنتوني مارستون: إن هذه الأشياء لظريفة، أليس كذلك؟

وفي وسط المائدة كانت توجد بعض التماثيل الخزفية فوق قاعدة مستديرة من الزجاج، وقال توني: جزيرة نيجر،

أعتقد أن هذا هو الرمز.

انحنت فيرا إلى الأمام بينما قال توني: إنني أتساءل عن عددهم، أهو عشرة؟

وصاحت فيرا: يا للطرافة! إنهم الأطفال العشرة الصغار المذكورون في القصيدة الموضوعة داخل إطار فوق رف في غرفتي.

فقال لومبارد: وفي غرفتي واحدة أيضاً.

- وأنا كذلك.

- وأنا كذلك.

وردد كل واحد منهم الجملة نفسها فقالت فيرا: إنها فكرة مسلية، أليس كذلك؟

غمغم السيد جستيس وارجريف: "حركة طفولية بلا شك"، ثم تناول كأساً. ونظرت إميلي برنت إلى فيرا كليثون، ونظرت فيرا إلى إميلي، ثم نهضت الاثنتان من على المائدة.

كانت النوافذ الكبيرة في غرفة الاستقبال مفتوحة ومطلة على الشرفة بحيث يتناهى إلى الأسماع صوت تكسر أمواج البحر على الصخور. وقالت إميلي برنت: صوت جميل.

فقالت فيرا بحدة: إنني أكرهه.

فنظرت إليها إميلي برنت برهة فاحمرّ وجه فيرا ثم قالت في ثبات: لا أظن أن المكان سيكون مريحاً في أثناء العاصفة.

فوافقتها إميلي برنت على هذا قائلة: لا يخالجني أي شك

في أن هذا المنزل يُغلق أثناء الشتاء، لا يمكن أن يعثر المرء على خدم فيه بأي مقابل.

وغمغمت فيرا قائلة: قد يكون من الصعب العثور على خدم على كل حال.

- إن السيدة أوليفر لمحظوظة إذ عثرت على هذين الخادمين، إن الطاهية ممتازة.

وفكرت فيرا: "من المضحك سماع الكبار وهم يخلطون في الأسماء"، ثم قالت بصوت مرتفع: نعم، أعتقد أن السيدة أوين محظوظة حقاً.

وكانت إميلي برنت قد أخرجت من حقيبتها قطعة من قماش للتطريز، وكانت على وشك إدخال الخيط بالإبرة، فتوقفت وقالت بحدة: أوين؟ هل قلت أوين؟

- نعم.

فقالت إميلي برنت بحدة: أنا لم أقابل طوال حياتي من تدعى أوين.

فدُهشت فيرا وقالت: ولكن، بالتأكيد...

ولم تكمل جملتها، إذ فُتح الباب وانضم إليهما الرجال، وتبعهم روجرز إلى الغرفة وهو يحمل صينية عليها فناجين القهوة. وجلس القاضي إلى جوار إميلي برنت بينما جلس الدكتور آرمسترونج إلى جوار فيرا، ومشى توني بتؤدة إلى النافذة المفتوحة، وأخذ بلور يفحص باهتمام تمثالاً من النحاس، ووقف الجنرال مكارثر مولياً ظهره إلى المدفأة

وهو يشد أطراف شاربه. لقد كان العشاء ممتازاً للغاية، كانت روحه منتعشة، وأخذ لومبارد يتفحص مجلة تناولها من ضمن صحف أخرى على المائدة.

وأخذ روجرز يطوف عليهم بصينية. كانت القهوة ممتازة، بن ثقيل وقهوة ساخنة جداً. وكان كل مَن بالمجموعة قد تناول عشاءه جيداً وقد بدؤوا يستمتعون بالحياة، وكانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة والثلث.

وران الصمت، صمت ثقيل... ومن خلال هذا الصمت جاءهم «الصوت»! بلا إنذار تناهى إليهم صوت نفّاذ غير إنساني يقول: "سيداتي وسادتي، الصمت من فضلكم".

وذُهل كل منهم، ونظروا بعضهم إلى بعض ثم إلى الحائط. من الذي يتكلم؟ واستمر الصوت في نبرات واضحة عالية:

إنكم متهمون بما يلي:

إدوار جورج آرمسترونج، لقد تسببت في يوم ١٤ مارس ١٩٢٥ في موت لويزا ماري كليس.

إميلي كارولين برنت، لقد كنت مسؤولة عن مقتل بياتريس تايلور يوم ٥ نوفمبر ١٩٣١.

ويليام هنري بلور، لقد تسببت في مصرع جيمس ستيفن لاندور يوم ١٠ أكتوبر ١٩٢٨.

فيرا إليزابيث كليثون، لقد قتلتِ سيريل أوجيلفيا هاملتون يوم ١١ أغسطس ١٩٣٥.

فيليب لومبارد، أنت متهم بقتل واحد وعشرين شخصاً من قبيلة في شرق أفريقيا في أحد أيام شهر فبراير ١٩٣٢.

جون جوردون مكارثر، أنت قتلت عمداً آرثر ريتشموند عشيق زوجتك يوم ١٤ يناير ١٩١٧.
أنتوني جيمس مارستون، أنت متهم بقتل جون ولدس كومباس يوم ١٤ نوفمبر الماضي.
توماس روجرز وآتيل روجرز، لقد تسببتما في مقتل جنيفر برادي يوم ٦ مايو ١٩٢٩.
جستيس جون وارجريف، أنت متهم بقتل إدوارد ستون يوم ١٠ يونيو ١٩٣٠.
أيها المتهمون، هل لديكم ما تدافعون به عن أنفسكم؟

-٢-

توقف الصوت. وتلت ذلك لحظة من الصمت المشحون أعقبها صوت شيء يتحطم. لقد أسقط روجرز صينية القهوة. وفي نفس اللحظة، ومن مكان ما خارج الغرفة، تناهى إلى الأسماع صوت صرخة من ورائه سقوط شخص على الأرض. وكان لومبارد هو أول من تحرك، إذ قفز إلى الباب وفتحه على مصراعيه، وخارج الباب كانت ترقد السيدة روجرز ملقاة على الأرض. وصاح لومبارد: مارستون!

قفز توني ليساعده، وحملا المرأة فيما بينهما وأرقداها على أريكة في غرفة الاستقبال، وأسرع الدكتور آرمسترونج إليهم وانحنى على المرأة متفحصاً، ثم قال مسرعاً: لا شيء هناك، مجرد إغماء. ستثوب إلى رشدها خلال دقائق.

طلب لومبارد من روجرز أن يحضر قليلاً من الشراب، فقال له روجرز ويداه ترتجفان وقد شحب وجهه: حالاً يا سيدي.

وصاحت فيرا: من الذي يتكلم؟ أين كان؟ لقد كان يبدو، لقد كان يبدو...

وانفجر الجنرال مكارثر: ما الذي يجري هنا؟ أي نوع من الدعابات هذا؟

كانت يداه ترتجفان وقد تهدل كتفاه، وبدا كما لو كان قد كبر عشر سنوات. وكان بلور يجفف وجهه بمنديله. ولم يبد على أحد عدم التأثر سوى القاضي وإميلي برنت. كانت إميلي برنت تجلس منتصبة ورأسها مرفوع إلى أعلى وفي كل من وجنتيها بقعة حمراء، وجلس القاضي في وضعه المعتاد ورأسه قد اختفى بين كتفيه وهو يعبث بإحدى أذنيه. لم يكن نشيطاً فيه غير عينيه اللتين تتحركان في كل الاتجاهات بسرعة وبفطنة.

ومرة ثانية بدأ لومبارد بالحركة. كان آرمسترونج مشغولاً بالمرأة المنهارة فأتاح ذلك للومبارد أن يقوم بالمبادرة إذ قال: لقد بدا هذا الصوت كما لو كان يجيء من الغرفة.

وصاحت فيرا: مَن هو؟ مَن هو؟ إنه لم يكن واحداً منا.

وأخذت عينا لومبارد تتحركان كعيني القاضي، واستقرتا لدقيقة على النافذة المفتوحة، ثم هز رأسه مؤكداً. وفجأة لمعت عيناه ومضى بخفة إلى باب بالقرب من المدفأة يؤدي إلى غرفة ملحقة. وفي حركة سريعة أدار مقبض الباب وفتحه على مصراعيه ومضى إلى الغرفة الأخرى، وفي الحال تنهّد بارتياح وقال: آه، وجدتها.

وتدافع الآخرون خلفه، ولم يبقَ في مكانه سوى الآنسة

برنت. وفي داخل الغرفة وجدوا مائدة قد حركت إلى جوار الحائط المشترك مع غرفة الاستقبال، وعلى هذه المائدة وُضع مكبر صوت من طراز عتيق ذو بوق ضخم، وكانت فوهة البوق تواجه الحائط، ولما أزاحها لومبارد أشار إلى ثقبين أو ثلاثة ثقوب محفورة في الحائط. وأعاد الغرامافون إلى وضعه ووضع الإبرة على الأسطوانة فسمعوا الصوت يقول من جديد: إنكم متهمون بما يلي...

فصاحت فيرا: "أسكته، أسكته، إنه فظيع". وأطاعها لومبارد.

قال الدكتور آرمسترونج وهو يتنهد بارتياح: إنها دعابة سمجة قاسية على ما أعتقد.

وغمغم السيد جستيس وارجريف بصوته الخافت الواضح: إذن فأنت تعتقد أنها دعابة؟

فحملق الطبيب فيه قائلاً: وأي شيء غير هذا يمكن أن تكون؟

وربت القاضي بيده على فمه وهو يقول: لست مستعداً للإدلاء برأيي في اللحظة الراهنة.

وانفجر أنتوني مارستون قائلاً: استمعوا إليّ، لقد نسينا شيئاً. مَن الشيطان الذي أدار هذا الجهاز؟

غمغم وارجريف: نعم، أعتقد أنه يجب علينا أن نتقصى عن الفاعل، وقادهم إلى غرفة الاستقبال.

كان روجرز قد حضر لتوه حاملاً زجاجة الشراب بينما انحنت الآنسة برنت على جسد السيدة روجرز التي كانت لا تكفّ عن الأنين، وبمهارة دخل روجرز بين المرأتين وهو

يقول: اسمحي لي يا آنستي، سأتحدث إليها أنا. أثيل، أثيل... كل شيء على ما يرام. أتسمعينني، كل شيء على ما يرام. استجمعي شتات نفسك.

وتسارعت أنفاس السيدة روجرز، وأخذت حدقتاها المذعورتان تدوران حول الوجوه المحملقة حولها. وبدأ الارتياح في صوت روجرز وهو يقول: استجمعي شتات نفسك يا أثيل.

وتحدث إليها الدكتور آرمتسرونج مهدئاً: ستكونين على ما يرام يا سيدة روجرز، إنها دعابة قذرة.

فقالت له: هل أغمى عليّ يا سيدي؟

- نعم.

- إنه الصوت، الصوت المخيف.

وعاد لون وجهها إلى الاصفرار وارتجفت أهدابها، فقال الدكتور آرمسترونج: أين الشراب؟

كان روجرز قد وضعه على مائدة مجاورة فناوله أحدهم للطبيب، فانحنى به على المرأة اللاهثة وقال لها: اشربي يا سيدة روجرز.

وشربت وهي تشهق وتلهث، وأفادها الشراب فعاد إليها لون وجهها وقالت: إنني بخير، لقد أصابني الذعر.

وقال روجرز: بالطبع، لقد أصبت أنا أيضاً بذعر فأسقطت الصينية.

- هذا كذب ملعون. كيف، بودي لو أعرف...

وقوطع في كلامه. قاطعته سعلة، سعلة خشنة، أسكتته تماماً، وحملق في السيد جستيس وارجريف فعاد الأخير إلى السعال ثم قال: مَن الذي أدار مكبر الصوت، هل فعلتها أنت يا روجرز؟

فصاح روجرز: لم أكن أعرف كنه الأمر. أقسم بالله لم أكن أعرف، لو كنت أعرفه لما كنت فعلت هذا أبداً.

فقال القاضي بغلظة: من المحتمل أن تكون صادقاً، ولكن أعتقد أنه من المستحسن أن تفسر الأمر يا روجرز.

جفف الساقي وجهه بمنديله ثم قال بحرارة: لقد كنت أطيع الأوامر يا سيدي، هذا هو كل ما هناك.

- أوامر من؟

- أوامر السيد أوين.

- دعني أستوضح الأمر. لقد كانت أوامر السيد أوين أن...

- أن أضع الأسطوانة في مكبر الصوت. لقد وجدت الأسطوانة في الدرج وكان على زوجتي أن تدير مكبر الصوت عندما أدخل إلى غرفة الاستقبال حاملاً صينية القهوة.

- قصة مثيرة جداً.

- إنها الحقيقة يا سيدي، أقسم بالله إنها الحقيقة. لم أكن أعرف شيئاً. لم يخطر ببالي قط أن يحدث ما حدث. كان عليها اسم، واعتقدت أنها مجرد مقطوعة من الموسيقى.

ونظر وارجريف إلى لومبارد قائلاً: هل كانت تحمل عنواناً؟

فهز لومبارد رأسه بالإيجاب، ثم ابتسم بغيظ كاشفاً عن أسنانه البارزة وقال: بالضبط يا سيدي، إن اسمها «أغنية البجعة».

-٣-

انهار الجنرال مكارثر فجأة وقال: إن الأمر كله محال، محال. أتُلقى التهم على الناس بهذا الشكل؟ يجب أن نفعل شيئاً ضد هذا الرجل أوين، كائناً من كان.

قاطعته إميلي برنت محتدة بقولها: هذا هو لب الموضوع، من هو أوين؟

وتدخل القاضي متحدثاً في أهمية كالأهمية التي تعوّد عليها أثناء مزاولته لعمله بالمحاكم: هذا هو بالضبط ما يجب علينا أن نبحثه بدقة. أقترح أن تأخذ زوجتك إلى فراشها أولاً يا روجرز، وبعدها عد إلينا.

- حسناً يا سيدي.

فقال الدكتور آرمسترونج: سأساعدك يا روجرز.

غادرت السيدة روجرز الغرفة على ذراعَي الرجلين. وعندما خرجوا قال توني مارستون: ليس لي علم بمزاجك يا سيدي، ولكني لا أستطيع المضي في هذا الأمر بدون شراب.

قال لومبارد: وأنا كذلك.

فقال توني: سأذهب وأعد الشراب.

وغادر الغرفة، ثم عاد بعد دقيقة أو اثنتين وقال: لقد وجدتها كلها معدة على صينية استعداداً لأحضرها إلى هنا.

ووضع حمله الثمين بعناية، ومرت الدقائق التالية في توزيع الشراب. وأخذ الجنرال كأساً وكذلك فعل القاضي. كان كل واحد من المجموعة يشعر بالحاجة إلى شيء منعش إلا إميلي برنت التي طلبت كوباً من الماء.

وعاد آرمسترونج إلى الغرفة وقال: ستكون بخير، لقد أعطيتها منوماً. ما هذا؟ شراب؟ أود تناول شيء منه.

وأعاد كثير من الرجال ملء كؤوسهم، وبعد دقائق عاد روجرز إلى الغرفة. وتصدر السيد جستيس وارجريف المناقشة، وأصبحت الغرفة كقاعة محكمة. قال القاضي: والآن يا روجرز، يجب أن نصل إلى جوهر الأمر. مَن هو السيد أوين هذا؟

حملق روجرز ثم قال: إنه مالك هذا المكان يا سيدي.

- إنني مدرك لهذه الحقيقة، وما أريد معرفته منك هو كل ما لديك من معلومات عن هذا الرجل.

هز روجرز رأسه وقال: لا يمكنني أن أخبرك بشيء يا سيدي، فلم يسبق لي أن وقعت عيناي عليه.

سرت همهمة خافتة في الغرفة، وقال الجنرال مكارثر: ألم يسبق لك رؤيته؟ ماذا تعني بهذا؟

- لم يمض عليّ أنا وزوجتي هنا أكثر من أسبوع يا سيدي. لقد استُخدمنا بخطاب، عن طريق وكالة ريجينا في بلايموث.

أومأ بلور مؤكداً وقال: وكالة قديمة العهد.

وقال وارجريف: هل لديك هذا الخطاب؟

- أتعني خطاب تشغيلنا؟ لا يا سيدي، لم احتفظ به.

- امضِ في قصتك. لقد استُخدمتما بخطاب كما تقول؟

- نعم يا سيدي. وكان علينا أن نصل إلى هنا في يوم معين، فوصلنا، وكان كل شيء منظماً. كميات كبيرة من الطعام في المخزن وكل شيء على خير ما يرام. لم يكن المنزل محتاجاً إلا لإزالة أتربته.

- ثم ماذا؟

- لا شيء يا سيدي. لقد تلقينا الأمر (بواسطة الخطابات) لكي نعدّ المنزل لحفل عائلي. وفي بريد الأمس تلقينا خطاباً من السيد أوين جاء فيه أنه وزوجته قد تعطلا وسيفعلان كل ما بوسعهما للحضور، كما أعطانا بعض التعليمات بخصوص الطعام والقهوة وتشغيل أسطوانة الغرامفون.

قال القاضي بحدة: بالتأكيد ما يزال لديك هذا الخطاب؟

- نعم يا سيدي، إنه معي الآن.

وأخرج خطاباً من جيبه فأخذه القاضي منه وهمهم قائلاً: مكتوب على أوراق فندق ريتز، وعلى الآلة الكاتبة.

وبحركة سريعة كان بلور قد أصبح إلى جواره، وقال: لو سمحت لي بإلقاء نظرة على الخطاب؟ وأخذه من يده وجرى بنظرة عليه ثم قال: آلة كاتبة من طراز كورنيش، جديدة تماماً ليس بها أي عيب، ورق خاص بالفندق من أكثر الأنواع استعمالاً. لن يمكن الوصول إلى أي شيء من الخطاب، وربما يمكن الحصول على بصمات الأصابع لكني أشك في هذا.

نظر وارجريف إليه باهتمام مفاجئ. وكان أنتوني مارستون واقفاً بجوار بلور وهو ينظر من فوق كتفه ثم قال: في الخطاب أسماء وهمية، أليس كذلك؟ فورمان أوين... اسم ضخم!

قال القاضي العجوز بفتور: أنا شاكر لك يا سيد مارستون، فقد لفتّ نظري إلى نقطة غريبة ومليئة بالاحتمالات.

ثم نظر إلى الآخرين وهو يبرز رقبته كسلحفاة غاضبة وقال: أعتقد أن الوقت قد حان لكي يدلي كل واحد منا بما لديه من معلومات. من المستحسن -على ما أعتقد- أن يقول كل منا ما يعرفه عن صاحب المنزل. وتوقف قليلاً ثم واصل حديثه قائلاً: كلنا ضيوف، أعتقد أنه سيكون من المفيد أن يقول كل واحد منا كيف أصبح في هذا الوضع بالضبط.

وران الصمت للحظة، ثم تكلمت برنت قائلة: هناك شيء ملحوظ في الأمر كله. لقد تلقيت خطاباً كان من الصعب قراءة توقيع صاحبه، وعرفت أنه من سيدة قابلتها في مصيف معين منذ سنتين أو ثلاث سنوات مضت. وانتهيت إلى أن الاسم إما أن يكون أوليفر أو أدجون.

قال القاضي: هل معك هذا الخطاب يا آنسة برنت؟

- نعم، وسأحضره لك.

وغادرت الغرفة لتعود بعد دقيقة ومعها الخطاب. وقرأه القاضي ثم قال: لقد بدأت أفهم، وأنت يا آنسة كليثون؟

شرحت له فيرا ظروف استخدامها كسكرتيرة، فقال القاضي: وأنت يا مارستون؟

- لقد تلقيت برقية من صديق لي يدعى بادجر بيركلي، وقد دُهشت وقتها لأنني كنت أعتقد أنه قد ذهب إلى النرويج. وقد طلب مني الحضور إلى هنا.

هز القاضي رأسه قائلاً: وأنت يا آرمسترونج.

- لقد استُدعيت إلى هنا كطبيب.

- هكذا؟ أي أنك لم تكن على معرفة سابقة بالعائلة؟

- أبداً، لكن ذُكر اسم صديق لي في الخطاب.

- للتمويه، وهذا الصديق ألا يمكن الاتصال به؟

- حسناً، نعم.

قال لومبارد الذي كان يحملق في بلور فجأة: انظروا، لقد خطرت لي فكرة حالاً.

فرفع القاضي يده وقال: انتظر دقيقة.

- ولكنني...

- سنتناول الأمور بالترتيب يا سيد لومبارد. إننا نبحث حالياً في الأسباب التي أدت إلى تجمعنا هنا هذه الليلة. وأنت يا جنرال مكارثر؟

قال الجنرال وهو يعبث بشاربه: لقد تلقيت خطاباً، من ذلك الرجل الذي يدعى أوين، ذاكراً بعض أصدقائي الذين سيحضرون إلى هذا المكان وطالباً الصفح لعدم إرسال دعوة رسمية، وأخشى ألا أكون قد احتفظت بالخطاب.

- والسيد لومبارد؟

كان عقل لومبارد نشطاً، هل يعترف لهم بالحقيقة أم لا؟ واستقر رأيه على أمر فقال: نفس الشيء، دعوة والحديث عن أصدقاء قدامى. وقد مزقت الخطاب.

استدار السيد وارجريف إلى بلور واضعاً إصبعه على شفته وبدا صوته مؤدباً للغاية وهو يقول: لقد مررنا للتو بتجربة مؤلمة نوعاً ما، فلقد خاطب صوتٌ مجهول كلاً منا بالاسم سارداً اتهامات محددة لكل واحد، وسنناقش هذه الاتهامات حالاً. ولكن في هذه اللحظة توجد نقطة فرعية محيرة، فضمن الأسماء التي نوديت كان اسم ويليام هنري بلور، ولكن -بقدر علمنا- ليس بيننا من يدعى بلور. أما اسم دافيس فلم يجئ ذكره. ما قولك في هذا يا سيد دافيس؟

قال بلور بعبوس: أعتقد أنه من المستحسن أن أعترف بأن اسمي ليس دافيس.

- أي أنك ويليام هنري بلور؟

- نعم.

قال لومبارد: وسأضيف شيئاً. أنت لم تحضر إلى هنا تحت اسم مزيف فقط يا سيد بلور، ولكنني بالإضافة إلى هذا قد لاحظت هذا المساء أنك كاذب من الطراز الأول. لقد ادعيت أنك حضرت من ناتال بجنوب أفريقيا، وأنا أعرف ناتال وجنوب أفريقيا، وأنا على استعداد لأن أقسم بأنك لم تضع قدمك في جنوب أفريقيا طوال حياتك.

اتجهت كل الأعين إلى بلور، عيون غاضبة ملؤها الشك. وخطا أنتوني مارستون إلى جواره وقد تقلصت قبضتاه وقال: والآن أيها المحتال، هل لديك تفسير؟

قال بلور: لقد أخطأتم في حقي أيها السادة. لديّ أوراق شخصيتي ويمكنكم رؤيتها، أنا مخبر سابق وأدير الآن وكالة خاصة في بلايموث، وقد أُحضرت إلى هنا من أجل هذا العمل.

سأله القاضي: من أحضرك؟

- ذلك الرجل أوين، وقد حوى خطابه مبلغاً محترماً من المال من أجل الأتعاب وتنفيذ ما يريد. كان عليّ أن أنضم إلى الحفل بصفتي أحد المدعوين، وقد أُعطيت لي أسماؤكم كلها. كان عليّ أن أراقبكم.

- وهل من سبب لهذا؟

- من أجل حليّ السيدة أوين، ولكن لا أعتقد أن هناك من تحمل هذا الاسم.

ومرة أخرى عاد القاضي يربت بإصبعه على شفتيه مفكراً، وصاحت فيرا: ولكن هذا أمر خيالي، جنون.

فأومأ القاضي برأسه بهدوء وقال: بالطبع، ليس لدي أي شك في أن الذي دعانا إلى هذا المكان رجل مجنون، ومن المحتمل أن يكون مجنوناً خطيراً.

* * *

الفصل الرابع

-١-

ساد الصمت للحظة، صمت الغضب والحيرة، وبعدها عاد صوت القاضي الواضح يقول: سنمضي الآن إلى المرحلة التالية من التقصي، وعلى كل حال سأضيف أولاً أقوالي بخصوص المرحلة السابقة.

وأخرج من جيبه خطاباً ألقى به على المائدة قائلاً: إنه خطاب من إحدى صديقاتي القديمات، الليدي كونستانس كلينجتون. إنني لم أراها منذ عدة سنوات، فقد رحلت إلى الشرق، والخطاب الغامض هو بالضبط ما يمكن أن تكتبه لتستحثني فيه على أن ألقاها هنا، ويتكلم عن مضيفنا بأكثر الطرق غموضاً، وهو نفس التكتيك. كما يمكننا أن نستنتج من كل هذا نقطة هامة: كائناً من كان ذلك الذي دعانا للحضور إلى هنا، فلقد كلف نفسه مشقة معرفة الكثير عنا. إنه يعرف صداقتي بالليدي كونستانس وهو على دراية بأسلوبها المميز، ويعرف شيئاً عن أصدقاء الدكتور آرمسترونج وعن أماكنهم الحالية، وهو يعرف اسم الشهرة لصديق السيد مارستون ونوع البرقيات التي يرسلها، وهو يعرف بالضبط أين كانت الآنسة

برنت منذ سنتين ونوع الناس الذين التقت بهم، وهو يعرف كل أصدقاء الجنرال مكارثر القدامى...

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم قال: إنه يعرف الكثير جداً كما ترون، ومن خلال معلوماته هذه كون اتهامات محددة.

وفي الحال تعالت غمغمات، وصاح الجنرال مكارثر: مجموعة من الأكاذيب اللعينة.

وصاحت فيرا: إن هذا لظلم، يا للشقى!

وقال روجرز بغلظة: كذب، كذب ملعون. أنحن نقدم على شيء من ذلك؟ ولا أي واحد منا تحدثه نفسه بهذا.

وقال أنتوني مارستون: لا أدري ما الذي يرمي إليه المغفل اللعين.

أسكت القاضي الجميع بيده المرفوعة وقال وهو ينتقي كلماته بعناية: أحب أن أقول ما يلي: إن صديقنا يتهمني بقتل إدوارد سيتون، وأنا لا أتذكر سيتون تماماً، لقد حوكم أمامي في شهر يونيو عام ١٩٣٠ وكان متهماً بقتل سيدة عجوز، وقد دوفع عنه بكفاءة وحاز الدفاع عنه تأثيراً حسناً لدى المحلفين، ورغم ذلك فلقد كانت الشواهد تدينه، وقد لخصت القضية تبعاً للشواهد فدانه المحلفون، وعندما أصدرت حكمي بإعدامه كنت متفقاً في هذا مع المحلفين، وقد قدم طلباً بإلغاء الحكم بدعوى التوجيه السيئ ولكنه رُفض وأُعدم المتهم بعدها. وأود أن أقول لكم إن ضميري مستريح فيما يخص بهذه القضية. لقد أديت واجبي ولا شيء أكثر، لقد أصدرت حكماً على مجرم ثبتت إدانته.

وبدأ آرمسترونج يتذكر قضية سيتون. لقد كانت الإدانة مفاجأة كبيرة، وقد التقى بماثيوز ذات يوم أثناء تناول الغداء فقال له هذا: "إنني واثق من الحكم، إن الإفراج مؤكد تماماً". وبعد سماع الحكم سمع تعليقات كثيرة. لقد كان القاضي ضده طول الخط وأدار رؤوس المحلفين فأدانوه، ورغم هذا فالحكم قانوني، فوارجريف العجوز خبير بالقانون. لقد كان واضحاً تماماً أن هناك مسألة شخصية بينهما.

اندفعت كل هذه الذكريات إلى رأس الطبيب، وقبل أن يزن حكمة قوله اندفع متسائلاً: هل كنت تعرف سيتون أصلاً؟ أعني قبل القضية؟

والتقت عيناه بعيني القاضي الذي قال له بصوت بارد واضح: لم أعرف شيئاً عن سيتون قبل أن أحاكمه.

فقال آرمتسرونج لنفسه: إن الرجل يكذب... إنني أعرف أنه يكذب!

-٢-

ثم تكلمت فيرا بصوت مرتجف قائلة: أود أن أخبركم بالحقيقة عن ذلك الطفل، سيريل هاملتون. لقد كنت مربيته، وكان غير مسموح له بالسباحة بعيداً عن الشاطئ. وذات يوم كنت شاردة اللب فسبح بعيداً. وسبحت خلفه، ولكني لم أتمكن من الوصول إليه في الوقت المناسب. لقد كان الأمر فظيعاً ولكنها لم تكن غلطتي. لقد برأتني المحكمة، وكذلك أمه، لقد كانت

في غاية الطيبة. وإذا كانت هي، هي نفسها لم تلمني، فلماذا يُقال هذا الكلام المزعج؟ هذا ليس عدلاً، ليس عدلاً!

ثم انهارت وهي تبكي بمرارة. وربّت الجنرال مكارثر على كتفها قائلاً: كفى، كفى يا عزيزتي، بالطبع ليس هذا عدلاً، إن هذا الرجل لمجنون، مجنون.

ثم وقف منتصباً وقد فرد كتفيه وقال: من الأحسن ألا نفكر في هذا الموضوع، وعلى أي حال فإنني أشعر بأنه يجب أن أقول إن كل ما قيل عن الشاب آرثر ريتشموند ليس بحقيقي، ليس بحقيقي، ليس بحقيقي! لقد كان ريتشموند أحد ضباط فرقتي، وقد أرسلته في مهمة ولكنه قُتل فيها. حادث طبيعي وقت الحرب. إنني غاضب على كل ما قيل عن زوجتي، أشرف الزوجات في هذا العالم.

وجلس الجنرال مكارثر، وعادت يده المرتجفة تعبث بشاربيه. لقد كلفه الكلام جهداً كبيراً!

وتكلم لومبارد: أما هؤلاء الوطنيون...

فقال مارستون: ماذا عنهم؟

- ما سأرويه هو عين الحقيقة. لقد تركتهم... كان ذلك بدافع الرغبة في الحياة. كنا قد ضللنا طريقنا في الغابة، وأخذت أنا كل ما تبقى من طعام وهربت.

فقال الجنرال مكارثر بصرامة: أي أنك هجرت رجالك، تركتهم يموتون جوعاً؟

- ليس تماماً. إن حب البقاء هو وازع الإنسان الأول.

رفعت فيرا رأسها من بين يديها وقالت وهي تحدق فيه: لقد تركت هؤلاء الناس يموتون؟

- نعم، لقد تركتهم يموتون.

فقال أنتوني مارستون في صوت بطيء متعثر: لقد كنت أفكر لتوي في جون ولوسي كومبس. ربما كانا طفلين صدمتهما بسيارتي في كامبريدج... حظ سيء للغاية.

فقال السيد جستيس وارجريف منكراً: حظهما أم حظك أنت؟

- حسناً، لقد كنت أفكر أنه حظي أنا. ولكن بالطبع، أنت على صواب يا سيدي. لقد كان حظي سيئاً ملعوناً، فهذا مجرد حادث بالطبع. لقد اندفعا من كوخ ما، وقد سُحبت مني الرخصة لمدة سنة.

فقال الدكتور آرمسترونج محذراً: إن هذه السرعة الكبيرة شيء خاطئ، خاطئ. إن الشبان من أمثالك لخطرون على المجتمع.

هز أنتوني كتفيه وقال: إن الطرق الإنجليزية في حالة ميؤوس منها للغاية، ولا يمكن أن يقود المرء فيها بسرعة مناسبة.

ثم نظر حوله بحثاً عن كأسه، والتقطها من فوق المائدة ومضى إلى إحدى الموائد الجانبية حيث ملأها بالشراب وقال مولياً ظهره نحوهم: حسناً، إنها لم تكن غلطتي على كل حال، مجرد حادث.

-٣-

كان روجرز يعض شفتيه ويفرك راحتيه طيلة الوقت، ثم قال بصوت خافت: إذا سمحتم لي بأن أقول كلمة.

فقال لومبارد: هيا تكلم يا روجرز.

- لقد جاء ذكرى أنا وزوجتي يا سيدي، وذكر الآنسة برادي، ولم يكن في هذا القول أي شيء من الصدق. لقد بقيت أنا وزوجتي مع الآنسة برادي حتى توفيت. كانت معتلة الصحة دائماً، منذ اللحظة التي التحقنا فيها بخدمتها. وفي تلك الليلة هبت عاصفة، وفي تلك الليلة أيضاً ساءت صحتها، وكان الهاتف معطلاً فلم نستطع أن نستدعي لها طبيباً، وذهبت إليه سيراً على الأقدام، ولكنه وصل إلينا متأخراً. وقد فعلنا كل ما في استطاعتنا. لقد كنا مخلصين لها يا سادة، وأي إنسان سيخبركم بهذا. ولم توجَّه إلينا أي كلمة لوم، ولا كلمة واحدة.

نظر لومبارد مفكراً إلى وجه الرجل الشايب، إلى شفتيه المتقلصتين وإلى الذعر في عينيه، وتذكر سقوط صينية القهوة.

وتكلم بلور، تكلم بطريقته الرسمية المشاكسة قائلاً: هل ورثت شيئاً عقب وفاتها؟

قال روجرز بحدة: لقد تركت لنا الآنسة برادي وصية عرفاناً منها بخدماتنا لها.

قال لومبارد: وماذا عنك أنت يا سيد بلور؟

- ماذا عني؟

- لقد تضمنت القائمة اسمك.

احمرّ وجه بلور وقال: تعني لاندور؟ لقد كانت تلك هي حادثة سرقة البنك، بنك لندن التجاري.

ونشط السيد وارجريف وقال: لقد تذكرت. إنها لم تعرض أمامي ولكني أذكر القضية. لقد حكم على لاندور بناء على شهادتك، فقد كنت أنت ضابط الشرطة المسؤول عن الحادثة.

- نعم، لقد كنت أنا المسؤول.

- وحكم على لاندور بالسجن مدى الحياة، ثم مات في سجن وارتمور بعد سنة من الحكم عليه. لقد كان رجلاً رقيقاً.

- كان محتالاً، لقد كان هو الذي ضرب حارس البنك، وكانت التهمة ثابتة عليه.

فقال وارجريف ببطء: لقد نلت ثناء لمعالجتك الماهرة للحادثة على ما أظن.

قال بلور بصرامة: لقد نلت ترقية بسببها. ثم أضاف: لقد كنت أؤدي واجبي.

وضحك لومبارد ضحكة مفاجئة رنانة وقال: يا لنا من قوم محبين لأعمالهم وللقانون أيضاً، باستثنائي أنا! وماذا عنك يا دكتور وعن خطئك الطبي البسيط؟ هل كانت عملية غير قانونية؟

نظرت إليه إميلي برنت في بغض عميق ثم ابتعدت عنه

قليلاً، وهز دكتور آرمسترونج رأسه بمرح وهو متمالك لنفسه تماماً ثم قال: أنا متحير في استجلاء حقيقة الأمر. إن الاسم لم يشر إلى أي شيء عند سماعه. ماذا كان؟ كليس؟ كلوس؟ في الحق لا أستطيع أن أتذكر أي مريض بهذا الاسم أو أنني كانت لي صلة بأي موت على كل حال. إن الأمر غامض تماماً بالنسبة لي. بالطبع لقد مضى وقت طويل، وقت طويل، وربما كانت عملية أجريتها في المستشفى. إن الكثير من هؤلاء الناس يذهبون إلى المستشفى بعد فوات الأوان. وعندئذٍ، إذا مات مريض فإنهم غالباً ما يعتبرون ذلك غلطة الجراح.

وتنهد وهو يهز برأسه، وفكر في نفسه: ثمل... تلك هي حقيقة الأمر، لقد كنتُ ثملاً. ورغم ذلك فقد أجريت العملية، وكل أعصابي كانت متوترة ويداي ترتجفان، وقتلتها تماماً. يا للشيطانة المسكينة، السيدة العجوز! كانت العملية سهلة لو كنت واعياً، ومن حسن حظي أن الإخلاص شعار مهنتنا، إذ كانت الممرضة على علم بحقيقة الأمر، ولكنها أمسكت لسانها. يا لله! لقد أصيبت بصدمة. ولكن من ذا الذي يعرف حقيقة الأمر بعد مرور كل هذه السنين؟!

-٤-

ران الصمت على الغرفة. كان كل منهم ينظر أمامه مباشرة أو يتلصص إلى إميلي برنت، ومضت دقيقة أو اثنتان قبل أن تتنبه إلى تطلعهم. واهتزت أهدابها ثم قالت: هل تنتظرون أن أقول لكم شيئاً ما؟ ليس لديّ ما أقوله.

فقال القاضي: لا شيء يا آنسة برنت؟

- لا شيء.

وأطبقت شفتيها بشدة، فهز القاضي رأسه ثم قال بهدوء: أتحتفظين بدفاعك؟

فقالت الآنسة برنت بتردد: ليس في الأمر أي دفاع. لقد تصرفت دائماً بوحي مما يمليه عليّ ضميري، وليس لديّ ما يقض مضجعي.

وامتلأ الجو بالشعور بعدم الارتياح. لكن إميلي برنت لم تكن ممن يتأثرون بالرأي العام، وجلست دون استسلام. وتنحنح القاضي مرة أو اثنتين ثم قال: إن بحثنا ينتهي هنا. والآن يا روجرز، مَن عدانا يوجد على هذه الجزيرة؟

- لا أحد يا سيدي، لا أحد أبداً.

- أواثق أنت من ذلك؟

- واثق تماماً يا سيدي.

- أما أنا فلست بواثق -بعد- من غرض مضيفنا المجهول من جمعنا هنا، ولكن في رأيي أن هذا الشخص كائناً من كان ليس عاقلاً بالمعنى المعروف للكلمة. قد يكون خطيراً، ومن المستحسن في رأيي أن نغادر هذا المكان بأسرع ما يمكن. إنني أقترح أن نغادره هذه الليلة.

قال روجرز: معذرة يا سيدي، ولكن لا يوجد أي قارب في الجزيرة.

- ولا قارب؟

- نعم يا سيدي.

- وكيف نتصل بالعالم؟

- إن فريد ناركوت يحضر إلى هنا كل صباح يا سيدي. إنه يحضر الخبز واللبن والبريد ويتلقى الأوامر.

- إذن فمن المستحسن -في رأيي- أن نغادر كلنا المكان غداً حالما يصل قارب فريد ناركوت.

وتعالت أصوات الجميع بالموافقة ما عدا أنتوني مارستون الذي قال: هذه روح غير رياضية أبداً. يجب أن نحل اللغز قبل ذهابنا. إن الأمر كله يشبه قصة بوليسية مثيرة للغاية.

فقال القاضي بتهكم: في سني هذا ليس لديّ أي ميل للإثارة كما تسميها.

ونظر إليه أنتوني خلسة ثم رفع كأسه وشربه في جرعة واحدة، وربما كان قد شربه بسرعة أكثر مما ينبغي، فقد شَرِق بالشراب بدرجة سيئة وتغير لون وجهه فاحمر بشدة وشهق متنفساً، ثم انزلق عن مقعده وقد سقط الكأس من يده.

* * *

الفصل الخامس

-١-

كان الحادث مفاجئاً وغير متوقع لدرجة أنه حبس أنفاسهم جميعاً، وظلوا ينظرون إلى الجسد المتكوم بغباوة. ثم قام الدكتور آرمسترونج وذهب إليه وركع إلى جواره، وعندما رفع رأسه من فوق الجسد المسجى كانت عيناه حائرتين وقال في همسات خافتة حَيرى: يا إلهي، لقد مات!

لم يتقبلوا الأمر للوهلة الأولى. مات؟ مات؟! إنه في عنفوان صحته وفتوته، فكيف يسقط ميتاً مرة واحدة؟ إن الشبان الأصحاء لا يموتون هكذا بغصة من تناول الشراب. لا، لا يمكنهم أن يتقبلوا هذا الأمر.

فحص الدكتور آرمسترونج وجه الميت، ثم تشمم شفتيه الزرقاوين الملتويتين، ثم التقط الكأس التي كان يشرب منها. وقال الجنرال مكارثر: مات؟ أتعني أنه قد شرق فمات؟

فقال الطبيب: يمكنك أن تسميها غصة إذا أحببت، لقد توفي بإسفكسيا الغرق.

راح يتشمم الكأس، ثم غرس إصبعه في محتوياته ولمس

إصبعه بحذر بطرف لسانه، وعلى الفور تغير تعبير وجهه. وقال الجنرال مكارثر: لم أعرف من قبل أن الإنسان يمكن أن يموت من نوبة شرق.

فوقف الدكتور آرمسترونج ثم قال بفظاظة: كلا، إن الإنسان لا يموت من نوبة شَرَق. إن وفاة مارستون لا يمكن أن نسميها وفاة طبيعية.

قالت فيرا بفحيح أشبه بفحيح الأفعى: هل كان هناك... شيء... في الشراب؟

أومأ آرمسترونج برأسه وقال: نعم، لا يمكنني التحديد، ولكن كل نقطة فيه تشير إلى أحد مركبات السيانيد. لا توجد رائحة مميزة لحامض البروسيك. ربما كان سيانيد البوتاسيوم، إنه يحدث تأثيراً مباشراً.

قال القاضي بحدة: هل كان السم في كأسه؟

- نعم.

ومشى الطبيب إلى المائدة التي عليها زجاجة الشراب التي شرب الرجل الميت منها، فأزاح الغطاء وتشمم محتوياته ثم تذوقها وهزّ رأسه قائلاً: إنها على ما يرام.

فقال لومبارد: أتعني أنه قد وضع السم في كأسه بنفسه؟

أومأ آرمسترونج برأسه وعلى وجهه تعبير غريب من عدم الارتياح وقال: يبدو هذا.

فقال بلور: انتحار إذن؟ إنها نهاية غريبة.

قالت فيرا ببطء: لم يكن من الممكن أن يفكر المرء في أن هذا الرجل قد يقدم على قتل نفسه. لقد كان مليئاً بالحياة، لقد كان... كان يبدو... آه، لا يمكنني أن أوضح.

ولكنهم كانوا يدركون ما تعنيه، فلقد بدا أنتوني مارستون في قمة شبابه ورجولته. وقال الدكتور آرمسترونج: هل يوجد أي احتمال عدا الانتحار؟

وهزّ كل منهم رأسه، فلم يكن هناك أي تفسير آخر. إن الشراب نفسه لم يكن ملوثاً، ولقد رأوه كلهم يمضي ليصب لنفسه كأساً، وهذا يعني أن أي سيانيد وُضع في الكأس قد وضع بيده هو. ورغم هذا، فلماذا ينتحر أنتوني مارستون؟

قال بلور مفكراً: أتعرف يا دكتور؟ إن الأمر لا يبدو لي صحيحاً، لا يمكن أن أتقبل فكرة أن السيد أنتوني مارستون من صنف الناس الذين ينتحرون.

قال آرمسترونج: وأنا أوافقك على هذا.

ثم تركا الأمر معلقاً هكذا، فأي شيء آخر يمكن أن يقولاه؟ وحمل آرمسترونج ولومبارد معاً جسد أنتوني مارستون وأرقداه في سريره ثم غطياه بملاءة، وعندما عادا إلى غرفة الاستقبال ثانية كان الآخرون قد وقفوا متجمعين يرتجفون قليلاً رغم أن الليلة لم تكن باردة.

قالت إميلي برنت: من المستحسن أن نمضي إلى أسرّتنا، فقد تأخر الوقت.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة، وبدا الاقتراح

وجيهاً، ولكن رغم ذلك تردد كل منهم في تلبيته وبدوا كما لو كان كل منهم يتعلق بصحبة الآخرين.

قال القاضي: نعم، يجب أن ننام قليلاً.

وقال روجرز: أنا لم أرفع صحاف الطعام من غرفة المائدة بعد.

فقال لومبارد: ارفع هذه البقايا في الصباح.

وسأله آرمسترونج: هل زوجتك بخير؟

- سأذهب لأراها يا سيدي.

عاد بعد قليل ليقول: إنها تنام نوماً هادئاً يا سيدي.

فقال الطبيب: عظيم، لا تقلق نومها.

- نعم يا سيدي، سأرتب كل شيء في غرفة المائدة وأطمئن على إغلاق جميع الأبواب ثم آوي إلى الفراش.

عبر الردهة إلى غرفة الطعام، وصعد الآخرون الدرج في موكب بطيء مهيب.

لو أن المنزل كان منزلاً قديماً ذا سلالم متداعية تصدر عنها أصوات مزعجة وبه ظلال قاتمة وجدران ثقيلة مزخرفة لكان خوفهم أكبر، ولكن هذا المنزل كان نموذجاً لكل ما هو عصري. لم تكن فيه أركان مظلمة، وكان الضوء الكهربي يغمره وكل ما فيه جديد ولامع، ولم يكن فيه شيء مختلف أو مختبئ. ورغم ذلك فقد كان كل هذا مصدراً لخوف أشد.

وتبادلوا تحيات المساء في أعلى الدرج ثم ذهب كل منهم إلى غرفته. وآلياً، وبلا وعي منهم، أحكم كل منهم رتاج بابه.

-٢-

أخذ القاضي يغير ملابسه استعداداً للنوم في غرفته المريحة، وكان يفكر في إدوار سيتون.

لقد تذكر سيتون جيداً. شعره، وعيناه الزرقاوان، وعادته في النظر مباشرة في وجه الآخرين نظرة ملؤها شعور مريح بالصراحة، وكان هذا هو ما أحدث تأثيراً طيباً في المحلفين. وأثار غضب ليوبين، ممثل الإدعاء، هذا التأثير، إذ بالغ في محاولته لإثبات التهمة على سيتون. أما ماثيوز، ممثل الدفاع، فقد كان ممتازاً. كانت النقاط التي يثيرها واضحة وأسئلته قاتلة، وقد قام بعمله بكفاءة رائعة. ومر سيتون من مرحلة الاستجواب بمهارة، لم ينفعل أو يبالغ، وتأثر المحلفون.

وملأ القاضي ساعته بعناية ووضعها إلى جوار سريره. وتذكر بالضبط شعوره وهو جالس هناك يستمع ويدوّن ملاحظاته مقدّراً كل ما يدور حوله منتبهاً إلى كل دليل يدين السجين. لقد استمتع بهذه القضية. كان دفاع ماثيوز النهائي قطعة رائعة من الدرجة الأولى، وتبعه ليوبين، ولكنه فشل في إزاحة التأثير الطيب الذي أحدثه الدفاع. وعندئذٍ جاء دوره لتلخيص القضية.

وخلع طقم أسنانه الصناعية بعناية ووضعه في كوب من الماء ثم تحسس الشفتين المجعدتين. لقد أصبح فمه الآن قاسياً، قاسياً ومتوحشاً. وابتسم القاضي لنفسه. لقد طبخ إوزة سيتون على ما يرام.

وتنهد القاضي وهو يصعد إلى سريره ويطفئ نور الغرفة.

-٣-

وقف روجرز في غرفة الطعام متحيراً. كان يحملق في التماثيل الخزفية الموضوعة فوق المائدة، وغمغم لنفسه قائلاً: هذا غريب... أقسم أنهم كانوا عشرة أطفال!

وتقلب الجنرال مكارثر على الجانبين. لم يطرق النوم جفنيه بعد، وفي ظلام الغرفة طفق وجه آرثر ريتشموند يلوح لناظريه. لقد أحب آرثر، لقد أحبه للغاية وكان مسروراً إذ أحبته ليزلي هي الأخرى. لكن ليزلي كانت هوائية، وكانت تشيح بوجهها عن كثير من الناس وتصفهم بأنهم أغبياء. أغبياء، هكذا. ولكنها لم تعتبر آرثر غبياً. لقد تصادقا بسرعة منذ البداية وكانا يتحدثان معاً عن المسرحيات والموسيقى والرسوم. كانت تغيظه وتسخر منه. وكان هو، مكارثر، مسروراً إذ اعتقد أنها قد تبنت آرثر. تبنته حقاً! كان غبياً للغاية إذ لم يتذكر أن ريتشموند في الثانية والعشرين من عمره بينما ليزلي في التاسعة والعشرين. كان مغرماً بليزلي. إنه يراها الآن بوجهها الصبوح وعينيها الراقصتين وخصلات شعرها البني، كان يحبها ويثق فيها تماماً. وهناك في فرنسا، وسط جحيم الحرب، جلس يفكر فيها وهو ينظر إلى صورتها التي أخرجها من حافظته، وعندئذٍ اكتشف الأمر.

ولقد حدث الأمر تماماً كما يحدث في الروايات... خطاب في المظروف الخطأ. كانت قد كتبت إليهما كليهما ثم وضعت خطاب ريتشموند في المظروف الموجه إلى زوجها. وحتى الآن، وبعد كل هذه السنوات، ما يزال يتذكر الصدمة والألم.

يا للسخرية! كانت علاقتهما مستمرة منذ سنوات، لقد أوضح الخطاب هذا... عطلات نهاية الأسبوع... إجازة ريتشموند الأخيرة. ليزلي. ليزلي وآرثر! لعنة الله على ذلك الرجل، لعنة الله على وجهه الصبوح وإجابته الدائمة «سمعاً وطاعة يا سيدي»... الكاذب المنافق، سارق زوجات الآخرين!

وتجمع الغضب القاتل البارد ببطء، وتمكن من أن يبدو عادياً وألاّ يظهر ما يبطن، وحاول أن يجعل علاقته برتيشموند عادية. هل نجح في هذا؟ يبدو ذلك، إذ لم يشكّ ريتشموند في شيء، فلقد كان شيئاً عادياً -في مثل ظروف الحرب- أن تتغير الأمزجة. أما أرميتاج الشاب فهو وحده الذي رمقه ذات مرة باستغراب. لقد كان شاباً صغيراً ولكن كانت له شكوكه، وربما ظن أرميتاج شيئاً عندما حان الوقت. لقد أرسل ريتشموند عمداً إلى حتفه غير آسف عليه، وكان الأمر سهلاً، فقد كانت الأخطاء ترتكب طيلة الوقت والضباط يرسَلون إلى الموت دون داعٍ. كانت الفوضى تعم كل شيء، وربما يقول الناس فيما بعدُ: "لقد فقد مكارثر العجوز أعصابه قليلاً فارتكب أخطاء جسيمة وضحى ببعض رجاله". ولكن لم يكن في وسعهم أن يقولوا أكثر من هذا.

ولكن أرميتاج الشاب كان مختلفاً عنهم، كان ينظر إلى قائده بطريقة غريبة. ربما كان يعرف أن ريتشموند قد أُرسل إلى الموت عمداً. هل تكلم أرميتاج بعد نهاية الحرب؟ ولم تعرف ليزلي. لقد بكت على حبيبها كما يعتقد، ولكن بكاءها كان قد انتهى عندما عاد هو إلى إنجلترا، ولم يخبرها أبداً أنه اكتشف حقيقتها، وعاشا معاً إلاّ أنها لم تعد تبدو على حقيقتها أبداً.

وبعد ذلك، وبعد ثلاث سنوات أو أربع، مرضت ثم توفيت.

لقد مضى زمن طويل على كل هذا. خمسة عشر عاماً... ستة عشر؟ وقد ترك الجيش وجاء ليعيش في ديفون، واشترى منزلاً من النوع الذي كان يتمنى دائماً أن يشتريه، وكان جيرانه طيبين. مكان رائع، وكان يصطاد في بعض الأحيان، كما أنه يذهب إلى الكنيسة كل أحد. وكان يعتقد في البداية أن كل الناس من الصدّيقين، وبعدها داهمته الأزمة فأحس بشعور قلق مضن قوامه أن الناس يتكلمون عنه من وراء ظهره وأنهم أصبحوا يرمقونه بطريقة مختلفة شيئاً ما. وانطلقت بعض الإشاعات الكاذبة.

أرميتاج؟ لا بد أن أرميتاج قد تكلم. وتجنب الناسَ بعدها واعتكف في منزله. حقيقة لا يرتاح المرء لأحد حين يشعر بأن الناس يتناقشون عنه. كل هذا قد مضى وأصبح يتجنب زملاءه العسكريين القدامى. لو أن أرميتاج قد تكلم فلا بد من أنهم يعرفون جلية الأمر.

وهذه الليلة أطلق صوت مجهول الذكرى من مكمنها. هل عالج الأمر على ما يرام؟ ألم ترتجف شفته؟ ألم يخن تعبيره شعوره الحقيقي؟ الغضب والاشمئزاز، ولكن ليس الإثم. من الصعب معرفة الحقيقة.

بالطبع لا يمكن أن يتقبل أي أحد الاتهامات بجدية. كان هناك كوم من التفاهات الأخرى. وتلك الفتاة الساحرة؟ لقد اتهمها الصوت بإغراق طفل! سذاجة، مجنون يلقي بالاتهامات من بين يديه ومن خلفه. وإميلي برنت أيضاً. بالطبع قريبة لتوم

برنت من جنود كتيبته. لقد اتهمها الصوت بالقتل، مع أن أي امرئ يمكنه أن يحكم وهو مغمض العينين بأنها في غاية البراءة.

إن الأمر كله لملعون وغريب... جنون، ولا شيء عدا هذا. منذ أن وصلوا إلى هنا. متى كان وصولهم؟ بالطبع، يا للعنة! لقد كان وصولهم في عصر هذا اليوم، ولكنه يبدو كما لو كان قد حدث منذ زمن طويل. وفكر متعجباً: متى سنغادر هذا المكان مرة أخرى؟!

غداً بالطبع، عندما يحضر القارب البخاري. من المضحك أنه في هذه اللحظة لا يريد أن يغادر الجزيرة. أيعود إلى العالم مرة أخرى؟ يعود إلى المنزل الصغير، إلى المتاعب والآلام؟

ومن النافذة المفتوحة أمكنه أن يسمع أصوات تكسر الموج على الصخور. صوت أعلى من صوت السماء. إن الرياح بدأت تشتد هي الأخرى. وفكر: صوت هادئ، مكان هادئ... أحسن ما في الجزر أنك ما أن تصل إليها حتى لا تستطيع أن تمضي قدماً أكثر من ذلك. إنك تصل إلى نهاية الأشياء.

وأدرك فجأة أنه لا يريد أن يغادر هذه الجزيرة!

- ٤ -

استلقت فيرا كليثون على سريرها مفتحة العينين تحدق في السقف. كان المصباح إلى جوارها مضاء، وكانت خائفة من الظلمة: هوجو، هوجو... لماذا أحس بأنك قريب مني هذه الليلة، في مكان قريب للغاية؟ أين هو حقاً؟ لا أعلم، ولن

أعلم. لقد ذهب بعيداً جداً، خارج أسوار حياتي. لم يكن من المفيد محاولة التفكير في هوجو. لقد كان قريباً منها جداً، كان يجب عليها أن تفكر فيه، أن تتذكر.

كورنوول... الصخور السوداء والرمال الناعمة الصفراء، والسيدة هاميلتون السمينة والمرحة. وسيريل... دائماً يبكي ويشكو: أريد أن أسير إلى الصخور يا آنسة كليثون، لماذا لا يمكن لي أن أسبح إلى الصخور؟

إنها تتذكر تلك الأمسيات، والسير على شاطئ البحر تحت ضوء القمر، وجوّ المحيط الرطب، ثم ذراعي هوجو تحيطان بها: أحبك، أحبك. تعرفين أنني أحبك يا فيرا.

نعم، كانت تعرف.

- لا يمكنني أن أطلب منك أن تتزوجيني، فليس لديّ قرش واحد. لا يمكنني إلاّ أن أقيم أودي. أتعرفين أنه من الغريب حقاً أنه لو أتيحت لي الفرصة مرة واحدة ولمدة ثلاثة شهور فقط لأصبحت غنياً؟ سيريل لم يولد إلاّ بعد وفاة موريس بثلاثة أشهر. لو كان فتاة...

وفكرت: لو أن الطفل جاء بنتاً لورث هوجو كل شيء، لقد خاب أمله كما اعترف لها: لم أبْنِ آمالاً على هذا بالطبع، ولكنها كانت نوعاً من الصدمة. حسناً، إن الحظ هو الحظ، إن سيريل صبي لطيف وأنا أحبه جداً.

وكان الصبي مغرماً به هو الآخر، فقد كان على استعداد لأن يلاعبه ويسليه، فلم يكن في طبيعة هوجو حمل أية ضغينة

بين جوانحه. ولكن لم يكن سيريل في صحة قوية، بل كان طفلاً معتلاً من أصناف الأطفال الذين لا يعيشون للنمو.

وبعدئذٍ جاء صوت الطفل: يا آنسة كليثون، لماذا لا أصعد إلى الصخور؟

توسل مثير.

- إنها بعيدة جداً يا سيريل.

- ولكن يا آنسة...

في تلك اللحظة نهضت فيرا قاطعة حبل ذكرياتها وذهبت إلى مائدة الزينة وابتلعت ثلاثة أقراص من الأسبرين. وفكرت: "ليتني كان معي بعض الحبوب المنومة". وفكرت: "لو أنني أردت الانتحار لأخذت جرعة مضاعفة من الفيرونال. شيء من هذا القبيل وليس السيانيد".

وارتجفت عندما تذكرت وجه أنتوني مارستون المكفهر. وبينما كانت تمر بالرف نظرت إلى القصيدة المعلقة: "ذهب عشرة أطفال للعشاء، وغص أحدهم ومات فلم يبقَ منهم سوى تسعة".

وفكرت لنفسها: إنه فظيع، تماماً كما حدث هذه الليلة! لماذا أراد أنتوني مارستون الموت؟

إنها لا تريد أن تموت، لا يمكن أن تتمنى الموت. إن الموت من... من أجل الآخرين...

* * *

الفصل السادس

-١-

كان الدكتور آرمسترونج يحلم.

كان الجو شديد الحرارة في غرفة العمليات والعرق يغمر وجهه ويداه لزجتين، وأصبح من الصعب الإمساك بالمشرط بثبات. كم كان المشرط حاداً! من السهل القتل بمثل هذا المشرط. وبالطبع كان يرتكب جريمة!

وبدا جسد المرأة مختلفاً. كان جسداً طويلاً غير عريض، جسماً نحيلاً ذا وجه مخيف. ترى من كانت تلك التي قتلها؟ إنه لا يستطيع أن يتذكرها. ولكن يجب أن يتذكرها، أيجب أن يسأل الممرضة؟

كانت الممرضة تراقبه. لا، لا يمكن أن يسألها، كانت تشك في كل شيء وكان من الممكن إدراك هذا. بل كان يجب عليهم ألاّ يغطوا وجهها هكذا. آه لو كان يستطيع أن يرى وجهها! آه، هذا حسن. لقد بدأ أحد أطباء الامتياز يكشف الغطاء.

إميلي برنت طبعاً... إنها إميلي برنت التي كان عليه أن يقتلها! يا لعينيها الخبيثتين! كانت عيناها تتحركان، ماذا كانت تقول؟

إنها تضحك الآن. كلا أيتها الممرضة، لا تعيدي الغطاء ثانية، يجب أن أراها. أين المخدر؟ لا بد أنني قد أحضرته معي. ماذا فعلتِ بالمخدر أيتها الممرضة؟ نعم، هذا سيفيد تماماً. ارفعي الغطاء أيتها الممرضة. بالطبع، لقد كنت أعرف هذا طول الوقت. إنه أنتوني مارستون! إن وجهه قرمزي ومكفهرّ، ولكنه لم يمت، إنه يضحك! أقول إنه يضحك، إنه يهز مائدة العمليات! استمع إليّ يا رجل. أيتها الممرضة، ثبتي المائدة... ثبتيها.

واستيقظ الدكتور آرمسترونج فجأة. كان الصباح قد طلع وضوء الشمس يغمر الغرفة، وكان شخص ما منحنياً فوقه يهزه. كان روجرز، روجرز شاحب الوجه ويقول: دكتور، دكتور...

وأفاق الدكتور آرمسترونج تماماً وجلس في السرير وقال بحدة: ماذا هناك؟

- زوجتي يا دكتور... لا أستطيع إيقاظها. يا إلهي! لا أستطيع إيقاظها، و... وأخشى أن يكون قد أصابها مكروه.

وكان الدكتور آرمسترونج سريع الاستجابة، فدثّر نفسه بالروب وتبع روجرز. وانحنى فوق السرير حيث كانت ترقد المرأة على جنبها بسلام ورفع اليد الباردة ثم فتح الجفن، ومضت بعض الثواني قبل أن يستقيم جسمه ويبتعد عن السرير.

وهمس روجرز: هل... هل...

وبلل شفتيه الجافتين، فأومأ آرمسترونج برأسه وقال: نعم، لقد ماتت.

واستقرت عيناه -في تفكيره- على الرجل الواقف أمامه، ثم انتقلتا إلى المائدة المجاورة للسرير، ثم إلى المغسلة، ثم عادتا إلى المرأة المستلقية.

قال روجرز: لقد كانت تشكو من روماتزم في المفاصل.

- وهل فحصها الطبيب؟

- طبيب؟ إنها لم تعرض نفسها على أي طبيب منذ سنوات، ولا أنا.

- هل عندك شك في أنها كانت تعاني من أي متاعب في قلبها؟

- لا يا دكتور، لم أعلم بشيء من هذا أبداً.

- هل نامت نوماً هادئاً؟

زاغت عينا روجرز بعيداً عن عينيه وأخذ يفرك يديه ثم قال: لا، لم تنم نوماً هادئاً.

فقال الطبيب محتداً: هل تناولت أي منوم؟

حدّق فيه روجرز مندهشاً وقال: تناولت منوّماً؟ لا أعرف شيئاً من هذا القبيل. بل أنا واثق من أنها لم تفعل هذا.

ومضى آرمسترونج إلى المغسلة التي كان عليها عدد من الزجاجات، زجاجة غسل شعر، وماء كولونيا، وغلسيرين، ومعجون أسنان، ودواء للغرغرة. وفتح روجرز أدراج مائدة الزينة، وبعدها مضيا إلى أدراج الصوان. ولكن لم يكن في أي واحدة منها أي أدوية أو أقراص.

وقال روجرز: إنها لم تتناول أي شيء الليلة الماضية سوى ما أعطيتها أنت يا سيدي.

-٢-

عندما دق الجرس إيذاناً بتناول الفطور كان كل منهم قد استيقظ بالفعل وجلس ينتظره.

كان الجنرال مكارثر والقاضي يتمشيان في الشرفة ويتبادلان الحديث حول الموقف السياسي، وفيرا كليثون وفيليب لومبارد قد ارتقيا أعلى الجزيرة خلف القصر حيث وجدا ويليام هنري بلور واقفاً يحدق في الشاطئ الآخر، وحين رآهما قال: لم يبد أي اثر للقارب البخاري بعد، لقد كنت أترقبه.

قالت فيرا وهي تبتسم: إن ديفون إقليم يبعث على النوم، ودائماً يتأخر العمل فيه.

كان فيليب لومبارد ينظر في الاتجاه الآخر إلى البحر، وقال فجأة: ما قولكم في الجو؟

فنظر بلور إلى السماء ثم قال: يبدو لي أنه ليس على ما يرام.

وأخذ لومبارد يصفر بفمه ثم قال: قبل أن ينتهي النهار ستهب عاصفة.

فقال بلور: عاصفة عنيفة.

ومن أسفل أتى إليهم صوت الجرس، فقال فيليب لومبارد: الإفطار. حسناً، بودي أن أتناول شيئاً منه.

وبينما كانوا يهبطون قال بلور للومبارد: أتعلم؟ سوف أواصل البحث عن الدافع الذي جعل ذلك الشاب ينتحر. لقد أقلقني الأمر كثيراً.

كانت فيرا قد سبقتهم، وتأخر لومبارد قليلاً ثم قال: هل عندك نظرية بديلة؟

- أنا في حاجة إلى بعض الأدلة. الدافع أولاً... يمكنني أن أقول إنه كان ثرياً.

وخرجت إميلي برنت من شرفة الاستقبال لتلتقي بهم، وقالت بحدة: هل أتى القارب؟

قالت فيرا: لم يأت بعد.

ومضوا لتناول الفطور، وعلى جانب من المائدة كان طبق كبير من البيض واللحم المجفف وبعض القهوة والشاي. وأمسك لهم روجرز الباب لكي يمروا ثم أغلقه وراءهم من الخارج. فقالت إميلي برنت: إن هذا الرجل يبدو مريضاً هذا الصباح.

فقال الدكتور آرمسترونج الذي كان يقف إلى جوار النافذة: يجب أن تتغاضوا عن أي نقص في الطعام هذا الصباح. لقد بذل روجرز كل ما في وسعه لإعداده وحده، إن السيدة روجرز قد... إنها غير قادرة على العمل هذا الصباح.

قالت إميلي برنت بحدة: ماذا جرى للمرأة؟

فقال الدكتور آرمسترونج بهدوء: لنبدأ إفطارنا قبل أن يبرد البيض، وبعد ذلك فهناك العديد من الموضوعات التي أريد أن أناقشها معكم.

وافقوا على اقتراحه، وامتلأت الأطباق وصبت أقداح القهوة والشاي وبدأت الوجبة، وتجنب الجميع الحديث عن الجزيرة، وبدلاً من هذا راحوا يتحدثون عن الأحداث الجارية بطريقة عصرية. وبعدما فرغت الأطباق حرك الدكتور آرمسترونج مقعده قليلاً إلى الخلف. وبعد أن شحذ حنجرته تكلم فقال: لقد اعتقدت أنه من المستحسن أن ننتظر حتى تنتهوا من إفطاركم قبل أن أخبركم بنبأ سيء. لقد توفيت السيدة روجرز أثناء نومها.

تعالت صيحات الصدمة والحزن، وصاحت فيرا: يا للفظاعة! ميتان في الجزيرة منذ وصلنا؟

وضاقت عينا السيد وارجريف وقال بصوته الواضح المحدد: وماذا كان سبب الوفاة؟

فهز آرمسترونج كتفيه وقال: من المستحيل أن أقول بغير فحص.

- هل تحتاج إلى تشريح؟

- لا أستطيع طبعاً أن أعطي تصريحاً بالدفن، وليس لديّ علم عن حالة المرأة الصحية قبل وفاتها.

قالت فيرا: لقد كانت عصبية جداً، وقد أصيبت بصدمة في الليلة الماضية. أعتقد أنها أصيبت بصدمة قلبية.

فقال الدكتور آرمسترونج بجفاف: لقد توقف قلبها عن العمل بالطبع، ولكن ما الذي جعله يتوقف عن العمل؟

أفلتت كلمة من فم إميلي برنت، كلمة واضحة قاسية على

أسماع الباقين: «الضمير»! فالتفت إليها آرمسترونج وقال: ما الذي تعنينه بالضبط بهذا القول يا آنسة برنت؟

- لقد سمعتم كلكم، لقد اتُّهمت بقتل مخدومتها عمداً بالاشتراك مع زوجها... قتل سيدة عجوز.

- أوَتعتقدين هذا؟

- أعتقد أن هذا الاتهام صحيح. لقد رأيتموها كلكم ليلة أمس، لقد انهارت تماماً وأغمي عليها. كانت صدمة اكتشاف الأمر صعبة عليها. لقد ماتت -ببساطة- بسبب الخوف.

هزّ الدكتور آرمسترونج رأسه بشك وقال: إنها نظرية مستحيلة، لا يمكن للإنسان أن يتقبلها بدون معرفة سابقة بحالتها الصحية. لو كانت مصابة بضعف في...

فقالت إميلي برنت بسرعة: إذا كنت تفضل فيمكنك أن تسميه إرادة الله.

صدم كل واحد منهم، وقال السيد بلور بعدم ارتياح: إنك تبالغين في الأمر قليلاً يا آنسة برنت. ثم أضاف موجهاً سؤاله إلى الطبيب: ماذا أكلت أو شربت ليلة الأمس بعد أن أوت إلى فراشها؟

فقال آرمسترونج: لا شيء.

- ألم تأخذ شيئاً؟ حتى ولا قدحاً من الشاي، ولا شربة ماء؟ أراهن أنها تناولت كوباً من الشاي، إن هذا غالباً ما يحدث.

- لقد أكد لي روجرز هذا.

- ولكنه يجب أن يقول هذا.

كانت نبراته تحمل معنى الأهمية لدرجة أن آرمسترونج التفت إليه بحدة، وقال فيليب لومبارد: أي أن هذه هي نظريتك؟

قال بلور للومبارد بعداء: حسناً، ولم لا؟ لقد سمعنا كلنا وقائع الاتهام ليلة الأمس. قد يكون الأمر مجرد جنون القمر، وقد لا يكون! خذوا الأمر لبرهة على أنه حقيقة. لقد قتل روجرز هو وزوجته سيدتهما العجوز. حسناً، إلى أين يقودكم هذا؟ كانا يشعران بأمن وسعادة حول...

وقاطعته فيرا قائلة بصوت خافت: كلا، لا أعتقد أن السيدة روجرز قد شعرت بأي أمن.

تضايق بلور قليلاً من مقاطعتها، وقالت عيناه: "إنها تتكلم تماماً كامرأة"، ثم استأنف حديثه قائلاً: ربما كان هذا حقاً. وعلى كل حال فلم يكونا في خطر حقيقي على قدر علمهما، وعندما حدث ليلة الأمس وأذاع مجنونٌ ما ذلك السر... ماذا حدث؟ انهارت المرأة... تحطمت تماماً. هل لاحظتم كيف أحاطها زوجها عندما بدأت تفيق؟ لم يكن ذلك عطفاً زوجياً، بل كان تعبيراً عن الرعب لدرجة الموت مما قد ينم عن جرمهما من حديث. وإليكم هذا التفسير: لقد ارتكبا جريمة دون أن يكتشف أمرهما، ولكن إذا ما ذاع الخبر فماذا سوف يحدث؟ عشرة احتمالات ضد احتمال واحد تقول إن المرأة ستعترف، فليس لها من قوة الأعصاب ما يمكّنها من أن تصر على الإنكار. إنها خطر بالنسبة لزوجها، إنه سيكذب وهو ثابت

الجنان إلى يوم القيامة ولكنه ليس واثقاً منها هي، وإذا انهارت فسيلتف حبل المشنقة حول رقبته، وهكذا فإنه يضع شيئاً في كوب الشاي لكي يتأكد من انغلاق فمها إلى الأبد.

- لكن لم يكن هناك أي كوب فارغ إلى جوار سريرها، لا شيء على الإطلاق، لقد بحثت جيداً.

- بالطبع لم تجد شيئاً. إن أول شيء فعله بعد أن شربت الشاي أن أخذ الكوب فغسله جيداً.

وتوقف الحديث، وبعدها قال الجنرال مكارثر في ارتياب: ربما كان هذا حقاً، ولكنني لا أستطيع الاقتناع بأنه من الممكن لرجل أن يفعل هذا مع زوجته.

فضحك بلور ضحكة قصيرة وقال: عندما يهدد حبل المشنقة عنق الرجل فإنه لا يتوقف ليفكر في العواطف.

وتوقف الحديث، وقبل أن يتكلم أي شخص انفتح الباب ودخل روجرز، وقال وهو ينقل نظره من واحد إلى آخر: هل هناك أي شيء آخر يمكنني أن أؤديه لكم؟

تحرك السيد وارجريف قليلاً في مقعده وقال: ما هو الوقت المعتاد الذي يصل فيه القارب البخاري؟

- بين السابعة والثامنة يا سيدي، وفي بعض الأحيان يتأخر قليلاً عن الثامنة. ولا علم لي بما فعله فريد ناركوت هذا الصباح، ولو أنه كان مريضاً لأرسل أخاه بدلاً منه.

قال فيليب لومبارد: كم الساعة الآن؟

- العاشرة إلاّ عشر دقائق يا سيدي.

وارتفع حاجبا لومبارد وأخذ يهز رأسه ببطء، وانتظر روجرز لحظة، وفجأة تكلم الجنرال قائلاً: يؤسفني ما سمعته عن وفاة زوجتك يا روجرز، لقد أخبرنا الدكتور لتوه بالنبأ.

فحنى روجرز رأسه وقال: شكراً يا سيدي. وأخذ طبق الطعام الفارغ وخرج من الغرفة.

ومن جديد ران الصمت على الجميع.

-٣-

قال فيليب لومبارد وهو في الشرفة: أما عن ذلك القارب البخاري...

نظر إليه بلور وهز رأسه موافقاً ثم قال: أنا أعلم فيما تفكر يا سيد لومبارد. لقد سألت نفسي عين السؤال. كان مقداراً للقارب أن يصل إلى هنا منذ ساعتين بالضبط ولكنه لم يصل، لماذا؟

- هل وجدت جواباً؟

- إنه ليس مجرد مصادفة، هذا هو رأيي. إنه جزء لا يتجزأ من العملية كلها، إن العملية متماسكة تماماً.

- أتعتقد أنه لن يأتي؟

وجاء الرد من صوت خلفهما، صوت مليء بعدم الصبر: القارب البخاري لن يأتي.

والتفت بلور برأسه قليلاً إلى الخلف وتفحص المتكلم متأملاً ثم قال: أنت أيضاً تعتقد ذلك يا جنرال؟

فقال الجنرال مكارثر بحدة: بالطبع لن يأتي. إننا نعتمد على القارب في نقلنا من الجزيرة. هذا هو لب الموضوع، إننا جميعاً لن نغادر هذه الجزيرة... ولا أي واحد منا سوف يغادرها. إنها النهاية كما ترى، نهاية كل شيء مروع!

وتردد قبل أن يقول بصوت غريب منخفض: إنه السلام... السلام الحقيقي؛ أن نصل إلى النهاية، وأن نضطر إلى متابعة المسير. نعم، هذا هو السلام الذي ننشده!

واستدار فجأة ومشى بعيداً، وعبر الشرفة ثم أخذ يهبط المنحدر إلى شاطئ البحر، إلى نهاية الجزيرة حيث تنحدر الصخور الزلقة إلى البحر. وسار قليلاً في غير ثبات كرجل نصف مستيقظ.

قال بلور: وهكذا يمضي شخص آخر. يبدو أن الأمر سينتهي بكل منا هكذا.

فقال لومبارد: لا أعتقد أنك ستفعلها يا بلور.

فضحك مفتش الشرطة السابق قائلاً: سيكلفني الأمر كثيراً كي أثوب إلى رشدي، كما أنني لن أعتقد أنك أيضاً ستسلك نفس الطريق يا سيد لومبارد.

- أنا أشعر تماماً أنني في كامل وعيي في هذه اللحظة. شكراً لك.

- ٤ -

خرج الدكتور آرمسترونج إلى الشرفة ووقف متردداً، وعلى يساره كان يقف بلور لومبارد وعلى يمينه وارجريف يذرع الشرفة ببطء جيئة وذهاباً ورأسه قد انحنى إلى أسفل. وبعد لحظة من الحيرة انضم آرمسترونج إلى الأخير، ولكن في هذه اللحظة جاء روجرز مسرعاً إليه وقال: هل يمكنني أن أتحدث إليك يا سيدي؟

واستدار آرمسترونج إليه ودُهش لما رآه، كان وجه روجرز منفعلاً ولونه أخضر ويداه ترتجفان، وكانت مفارقة غريبة لتوازنه منذ دقائق قليلة خلت لدرجة أن آرمسترونج ذهل. واستدار الطبيب ودخل معه المنزل وقال: ما الأمر يا رجل؟ تمالك نفسك.

- تعال هنا يا سيدي، تعال إلى هنا.

وفتح باب غرفة المائدة فمر منه الطبيب، وتبعه روجرز وأغلق خلفهما الباب، فقال آرمسترونج: حسناً، ماذا هناك؟

وأخذ روجرز يبتلع ريقه بصوت مسموع ثم قال بجهد: هناك أشياء تحدث يا سيدي لا أستطيع فهم كنهها.

فقال آرمسترونج بحدة: أشياء؟ أي أشياء؟

- ستظن أنني مجنون يا سيدي... ستقول أن لا شيء في الأمر، ولكن يجب أن يوجد أي تفسير لها، يجب أن يوجد أي تفسير، إذ لا يوجد معنى لها.

- حسناً يا رجل، أخبرني بما عندك. لا تتحدث هكذا بالألغاز.

- إنها تلك التماثيل الصغيرة، تلك التي في وسط المائدة، التماثيل الخزفية الصغيرة. لقد كانوا عشرة، أقسم أنهم كانوا عشرة.

- نعم، كانوا عشرة؛ لقد عددناهم ليلة أمس.

فاقترب روجرز منه وقال: هذا حقيقي يا سيدي. وليلة الأمس، بينما كنت أنظف المائدة لم يكن هناك سوى تسعة منهم. لقد لاحظت هذا واستغربت، ولكن فكري توقف عند هذا الحد. والآن يا سيدي، هذا الصباح... إنني لم ألحظها وأنا أضع الفطور فقد كنت مرتبكاً، ولكن الآن وأنا أنظف المائدة... يمكنك أن تنظر بنفسك إن كنت لا تصدقني. إنهم ثمانية فقط يا سيدي، ثمانية فقط! أليس لهذا معنى ملموس؟ ثمانية فقط!

* * *

الفصل السابع

-١-

كانت إميلي برنت قد اقترحت بعد أن تناولت الفطور على فيرا كليثون أن ترتقيا قمة المرتفع ثانية ترقباً لوصول القارب، ووافقت فيرا على الاقتراح. وقالت إميلي برنت: إن الرجل الذي أحضرنا هنا بالأمس يبدو رجلاً يمكن الاعتماد عليه، ومن الغريب حقاً أن يتأخر هكذا هذا الصباح.

ولم تتكلم فيرا. كانت تكافح سَورة من الغضب تتزايد بداخلها وقالت لنفسها بغضب: "يجب أن تحتفظي ببرودك. إن هذا ليس من شيمتك، لقد كنت دائماً تتمتعين بأعصاب قوية". ثم رفعت صوتها وقالت بعد صمت قصير: أتمنى لو يأتي... إنني أريد الرحيل.

فقالت إميلي برنت بجفاف: لا يخالجني شك في أننا كلنا نود الرحيل.

- إن الأمر كله غير عادي. لا يبدو أي... أي معنى لما يحدث.

- إنني لغاضبة من نفسي إذ خدعت بسهولة للمجيء إلى هنا، وإن فحص الخطاب جيداً ليبين مدى تفاهته، ولكن لم

تخامرني أية شكوك وقتها أبداً.

- أعتقد هذا.

- إن الإنسان يتقبل بعض الأشياء في كثير من الأحيان دون تمحيص.

وتنهدت فيرا بعمق ثم قالت: هل تؤمنين حقاً بـ... بما قلته أثناء الإفطار؟

- كوني دقيقة شيئاً ما يا عزيزتي، ما الذي تشيرين إليه بالضبط بقولك هذا؟

قالت فيرا بصوت خافت: أتعتقدين حقاً أن روجرز وزوجته قد قتلا السيدة العجوز؟

حدّقت إميلي برنت في مياه البحر متفكرة ثم قالت: أنا شخصياً واثقة تماماً من هذا. ما رأيك أنت؟

- لا أدري فيم أفكر؟

- إن كل شيء يؤيد هذه الفكرة. الطريقة التي أغمي بها على المرأة والتي أسقط بها الرجل صينية القهوة. أتذكرين؟ ثم الطريقة التي تحدث بها عن الأمر. إنها لم تبد حقيقية.

- أوه، أخشى أن يكونا قد فعلاها هنا.

- الطريقة التي كانت تبدو بها... خائفة حتى من شبحها هي. لم أرَ أبداً امرأة بهذا الخوف، لا بد أن هذا الخوف ظل يلازمها ويطاردها.

وتهادت فيرا على قدميها وقالت: ولكن يا آنسة برنت، في هذه الحالة...

- ماذا يا عزيزتي؟

- والآخرون، ماذا عن الآخرين؟

- لا أفهمك تماماً.

- كل تلك الاتهامات الأخرى؟ إنها لم تكن صحيحة، ولكن إذا كانت كذلك فيما يتعلق بروجرز...

وتوقفت عجزاً عن توضيح أفكارها المتضاربة، فقالت إميلي: أفهمك الآن. حسناً، هناك السيد لومبارد هذا؛ لقد اعترف بالتخلي عن عشرين رجلاً ليلقوا حتفهم.

- لم يكونوا إلاّ مجرد وطنيين.

فقالت إميلي برنت محتدة: سواء أكانوا بيضاً أم سوداً فإنهم أخوة لنا، ولا فرق بيننا وبينهم أبداً. وبالطبع فإن بعضاً من الاتهامات الأخرى تافهة ومبالَغ فيها. الاتهام الموجَّه إلى القاضي على سبيل المثال... لقد كان يؤدي واجباً. وضد رجل الشرطة السابق، وضدي أنا شخصياً...

وتوقفت قليلاً قبل أن تواصل الحديث قائلة: بالطبع فإنه نظراً لظروف الأمس لم أنبس ببنت شفة، فلم يكن الموضوع مناسباً للحديث أمام الرجال.

- ألم يكن؟

واصلت إميلي برنت حديثها برصانة واستمعت فيرا

باهتمام: لقد كانت بياتريس تايلور تعمل في خدمتي، ولم تكن فتاة لطيفة كما اكتشفت مؤخراً. لقد خُدعت فيها إلى درجة كبيرة. كانت أخلاقها طيبة وكانت نظيفة تماماً ومطيعة، وكنت مسرورة منها إلى حد كبير، وبالطبع كان هذا نفاقاً رخيصاً منها. كانت فتاة فاسدة الأخلاق مثيرة للاشمئزاز، ومضى وقت قبل أن أكتشف أنها كانت فيما يسمونه في مأزق. كان هذا صدمة لي إذ أن والديها كانا خيّرين ربياها بتحفظ شديد، وإني لمسرورة إذ أقول إنهما لم يرضيا عن مسلكها.

قالت فيرا وهي تحملق في الآنسة برنت: وماذا حدث؟

- بالطبع لم أبقِها في منزلي ولو ساعة بعد هذا، فلن يقول أحد إنني قد وافقتها على سلوكها.

قالت فيرا بصوت أكثر خفوتاً: وماذا حدث لها؟

- إن المخلوقة الضالة لم تكتف بارتكاب خطيئة واحدة، بل أضافت إلى وزرها خطيئة أشد: لقد انتحرت.

همست فيرا وقد أصابها الذعر: قتلت نفسها؟!

- نعم، لقد ألقت بنفسها في النهر.

ارتجفت فيرا وحدّقت في المنظر الجانبي الهادئ الرقيق لوجه الآنسة برنت، ثم قالت: بماذا شعرتِ عندما علمت بهذا؟ هل أحسست بالأسف؟ ألم تلومي نفسك؟

- أنا؟ ليس لديّ ما ألوم نفسي عليه.

- ولكن إذا كانت قسوتك هي التي دفعتها إلى الانتحار...

فقالت الآنسة برنت بحدة: إنها فعلتها، خطيئتها هي التي دفعتها إلى هذا. لو أنها كانت قد تصرفت كالفتيات المتواضعات الطيبات لما حدث لها شيء أبداً.

أدارت وجهها إلى فيرا، ولم يكن في عينيها أي أثر لتأنيب الضمير أو عدم الارتياح، كانتا عينين قاسيتين. وجلست إميلي برنت على قمة جزيرة نيجر يكتنفها شعور بالفضيلة، ولم تعد العانس العجوز تبدو سخيفة في عيني فيرا. لقد أصبحت فجأة... مرعبة!

-٢-

غادر الدكتور آرمسترونج غرفة المائدة وعاد إلى الشرفة من جديد، وكان القاضي يجلس على أحد المقاعد وهو يحدق في مياه البحر، أما لومبارد وبلور فقد جلسا يدخنان في صمت. وتردد الطبيب لبرهة ثم استقرت عيناه على القاضي بإمعان.

كان يريد أن يتشاور مع شخص ما، وكان في حاجة إلى تفكير القاضي المنطقي الدقيق. ورغم ذلك تردد، فقد يكون للقاضي عقل منظم ولكنه رجل عجوز. وفي تلك اللحظة شعر آرمسترونج أن من يرتاح إليه هو رجل عملي، وحسم رأيه.

- هل يمكنني أن أتحدث معك لبرهة يا لومبارد؟

دُهش لومبارد وقال: بالطبع.

وغادر الرجلان الشرفة وأخذا يتمشيان في طريقهما إلى الشاطئ، وقال آرمسترونج: إنني في حاجة إلى المشورة.

وارتفع حاجبا لومبارد وقال: ليست لديّ أية معلومات طبية يا عزيزي.

- كلا، كلا. أعني مشورة فيما يختص بالوضع العام.

- أوه، هذا يختلف.

- بصراحة، ما رأيك في هذا الموضوع؟

فكر لومبارد برهة قبل أن يقول: إنه وضع مليء بالاحتمالات. أليس كذلك؟

- ما هو رأيك فيما يختص بالمرأة؟ هل تقبل نظرية بلور؟

- إنها محتمَلة جداً لو نظرنا إليها على حدة.

- بالضبط.

وبدا الارتياح في صوت آرمسترونج... إن لومبارد ليس غبياً. ومضى لومبارد يقول: هذا إذا تلقينا الفرض بأن روجرز وزوجته قد أفلحا في التخلص من آثار جريمتهما، ولا أرى ما يمنع هذا. ما هو رأيك فيما فعلاه بالضبط؟ هل سمّما السيدة العجوز؟

قال آرمسترونج ببطء: ربما كان الأمر أبسط من هذا. لقد سألت روجرز هذا الصباح عما إذا كانت الآنسة برادي تلك تعاني من مرض فكانت إجابته موضحة. لست بحاجة لتفصيلات طبية، ولكن في مثل مرضها فإن أي مضاعفات للمرض تكون خطيرة.

- أي أن الأمر كان بسيطاً للغاية.

- نعم، لم يكونا في حاجة لعمل إيجابي... مجرد إهمال

العلاج. ولقد قضى روجرز الليل كله في البحث عن الطبيب، وكانا واثقين من أن أحداً لن يمكن له أن يتهمهما بالقتل. وحتى لو اتهمهما أحد فلن يثبت عليهما شيء.

- بالطبع، إن هذا يوضح الكثير.

- عفواً؟

- أعني هنا، في جزيرة نيجر. هناك جرائم لا يمكن معاقبة فاعليها، مثل حالة روجرز أو مثل حالة القاضي العجوز الذي ارتكب جريمته باسم القانون.

قال آرمسترونج محتداً: هل تصدق تلك القصة؟

ابتسم فيليب لومبارد وقال: نعم، إنني أصدقها. لقد قتل وارجريف إدوارد سيتون على خير وجه، ولكنه كان من المهارة بمكان إذ فعلها وهو في مقعد القضاة مرتدياً مسوحهم، وهكذا فإنك لا تستطيع أن تعاقبه بالطرق الطبيعية.

وسطعت فكرة سريعة في ذهن آرمسترونج: "جريمة في المستشفى... جريمة على مائدة العمليات. إنه آمن، آمن تماماً". وكان لومبارد يقول وقتها: وهكذا فإن السيد أوين وجزيرة نيجر...

وتنفس آرمسترونج بعمق وقال: إننا نصل إلى الحقيقة. ما الغرض من إحضارنا جميعاً إلى هنا؟

- ما رأيك؟

قال آرمسترونج فجأة: دعنا نرجع قليلاً إلى وفاة تلك

المرأة. ما هي النظريات المحتمَلة؟ لقد قتلها روجرز لأنه خشي أن تعترف، هذا احتمال. والاحتمال الثاني: لقد فقدت أعصابها فانتحرت هرباً من الجريمة.

فقال لومبارد: أهو الانتحار إذن؟

- ما رأيك في هذا؟

- ربما كان الأمر كذلك حقاً لو لم تكن حدثت وفاة مارستون. لكن انتحاران في اثنتي عشرة ساعة؟ هذا أمر لا يسهل الاقتناع به. وإذا قلت إن أنتوني مارستون (ذلك الثور الصغير البارد ذا العقل الصغير) قد انتحر حزناً على قتل طفلين... حسناً، إن هذا لمضحك... على كل حال: فكيف حصل على السم؟ فما أعرفه أن مادة سيانيد البوتاسيوم ليست من تلك الأشياء التي يحملها معه المرء في جيب سترته!

- لا يحمل أحدٌ معه سيانيد البوتاسيوم إلاّ إذا كان ذاهباً للقضاء على عش زنابير.

- أي إنْ كان بستاني الحديقة، أي أنه ليس بأنتوني مارستون. لقد ظللت أعتقد أن هذه المسألة محتاجة إلى شرح، فإما أن أنتوني مارستون كان ينوي أن يقتل نفسه قبل حضوره إلى هنا، وهكذا حضر إلى هنا مستعداً. وإما...

- وإما؟

- لماذا تنتظر مني أن أقولها بنفسي بينما هي على طرف لسانك. لقد قُتل أنتوني مارستون بالطبع!

-٣-

سحب الدكتور آرمسترونج نفساً عميقاً ثم قال: وماذا عن السيدة روجرز؟

فقال لومبارد ببطء: يمكنني أن أصدق بصعوبة مسألة انتحار أنتوني مارستون إذا لم تكن السيدة روجرز قد ماتت، وقد أصدق بسهولة أن السيدة روجرز قد انتحرت لو لم يكن مارستون قد مات، وقد أصدق أن روجرز قد أبعد زوجته من الطريق لو لم يكن مارستون قد توفي فجأة... ولكننا في حاجة إلى نظرية تفسر وفاتين متتاليتين.

- قد يمكنني أن أساعدك في تكوين هذه النظرية.

ثم أخبر لومبارد بما قاله له روجرز عن اختفاء التمثالين، فقال لومبارد: نعم، التماثيل الخزفية. من المؤكد أنها كانت عشرة أثناء تناولنا طعام العشاء، وأنت تقول إنها قد أصبحت الآن ثمانية؟!

وأنشد الدكتور آرمسترونج:

ذهب عشرة أطفال للعشاء
وغص أحدهم ومات، فلم يبق منهم سوى تسعة
وسهر تسعة أطفال إلى وقت متأخر
ونعس واحد منهم فلم يبق سوى ثمانية

وحدق الرجلان بعضهما في بعض، ثم قال لومبارد: الأمر من اللعنة بحيث لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة. لقد مات أنتوني من غصة في الليلة الماضية عقب العشاء، ونعست

السيدة روجرز فماتت...

- وبعد؟

- أي أننا نوع آخر من الأطفال، أطفال ستبتلعهم الدوامة أو المجهول، السيد أوين...

وتنهد آرمسترونج بارتياح وقال: آه، إنك توافقني. ولكنك ترى ما يتضمنه هذا، لقد أقسم روجرز أنه ليس فوق الجزيرة سوانا.

- إن روجرز لمخطئ، أو من المحتمل أن يكون كاذباً.

هز آرمسترونج رأسه وقال: لا أعتقد أنه يكذب. إن الرجل مذعور، لقد أخرجه الذعر من وعيه.

وأومأ لومبارد برأسه وقال: لن يأتي القارب هذا الصباح، إن ترتيبات السيد أوين تنفَّذ حرفياً. يجب أن تُعزَل الجزيرة حتى يُتم السيد أوين عمله.

وشحب وجه آرمسترونج وقال: أنت تدرك أن الرجل قد يكون مخبولاً خطيراً.

فقال لومبارد وفي صوته رنة جديدة: هناك شيء واحد لم يدركه السيد أوين.

- وما هو؟

- أن الجزيرة ليست إلاّ صخرة جرداء ولن نحتاج لكشف حقيقتها إلاّ لوقت قصير، وسرعان ما نعثر على السيد أوين المحترم.

فقال آرمسترونج بحرارة: سيكون خطيراً.

فضحك فيليب لومبارد وقال: خطير؟ من ذا الذي يخشى ذلك المخبول؟ سأكون أنا أخطر منه عندما أمسك به...

وتوقف قبل أن يقول: من المستحسن أن نستدعي بلور لمساعدتنا، سيكون فعّالاً في هذا العمل، ومن الأفضل ألاّ نخبر المرأتين. أما عن الآخرين فإن الجنرال مكارثر من الممكن إخباره، أما القاضي العجوز فلن تساعده قواه. نحن الثلاثة قادرون على هذا العمل.

* * *

الفصل الثامن

-١-

كان من السهل ضم بلور إليهما، فقد أبدى موافقته السريعة على آرائهما قائلاً: إن ما قلته عن هذه التماثيل الخزفية يغير من الأمر تماماً، إن هذا لجنون! ليس هناك سوى تفسير واحد في رأيي، إن مارستون بعد أن استمع إلى الأسطوانة ليلة أمس قد انصاع للتحذير وانتحر، كما انصاع له روجرز وقتل زوجته. وكان ذلك مصداقاً لخطة ذلك المجنون، السيد أوين.

هز آرمسترونج رأسه رفضاً وأعاد تأكيد مسألة السيانيد، فوافق بلور قائلاً: نعم، لقد نسيت هذا، ليس من الطبيعي أن يحمل الإنسان معه سيانيد. ولكن كيف وصل السيانيد إلى الشراب يا سيدي؟

فقال لومبارد: لقد كنت أفكر في هذا. لقد تناول مارستون كمية كبيرة من الشراب، ومضت فترة بين تناوله آخر كأس وانتهائه من الكأس التي سبقتها، وفي هذه الأثناء كانت الكأس موضوعة على المائدة. ورغم أنني لست على ثقة كاملة من ذلك فإنني أظن أنه كان على تلك المائدة الصغيرة المجاورة للنافذة، وكانت مفتوحة، وكان بإمكان أي شخص أن يضع

السيانيد خلسة في الكأس.

قال بلور: دون أن يراه أحد منا؟

- لقد كنا جميعاً مشغولين بأنفسنا.

قال آرمسترونج ببطء: هذا حق، لقد هوجمنا جميعاً وكنا ندور وندور حول الغرفة نتناقش ثائرين ومشغولين بأنفسنا. أعتقد أنه من الممكن أن يحدث ذلك.

فهز بلور كتفيه وقال: الحقيقة إذن أن هذا كان يجب أن يحدث. والآن دعونا نبدأ في العمل يا سادة. هل مع أحد منكم مسدس؟ أعتقد أن هذا أكثر من أن نأمله.

فقال لومبارد: عندي واحد.

ثم ربّت على جيبه، واتسعت عينا بلور بصوت غير عادي: أتحمله معك دائماً يا سيدي؟

- دائماً. لقد ترددت على أماكن خطرة كثيرة كما تعلم.

- أوه، من المحتمل أنك لم تكن في مكان في مثل خطورة هذا المكان. لو أن أي مجنون مختبئ في هذه الجزيرة فلا بد أن معه بندقية، بالإضافة إلى سكين أو خنجر أو ما شابه ذلك.

وسعل آرمسترونج وقال: قد تكون مخطئاً في هذا يا بلور، كثير من المجانين مسالمون للغاية.

فقال بلور: لا أعتقد أن هذا المجنون من هذا النوع يا دكتور آرمسترونج.

-٢-

بدأ الرجال الثلاثة في رحلتهم حول الجزيرة. وكانت المهمة سهلة، فلم يكن في الجزيرة أشجار أو كهوف كثيرة، ووصلوا في بحثهم إلى النقطة التي كان يجلس عندها الجنرال مكارثر. ولم يلتفت العجوز إلى اقترابهم منه فقال له بلور: مكان هادئ ذلك الذي اخترته لنفسك يا سيدي.

- لم يعد في الوقت الكثير، لم يعد في الوقت الكثير، وأنا في الحقيقة يجب أن أصر على ألاّ يزعجني أحد.

- نحن لا نزعجك يا سيدي. إننا فقط نقوم بجولة في الجزيرة، فقد خطر ببالنا أن أحداً يختبئ فيها.

- أنت لا تفهم، أنت لا تفهم أبداً. انصرف من فضلك.

وتراجع بلور وقال عندما انضم إلى زميليه الآخرين: إنه مجنون، ليس من المفيد أن نتحدث معه.

فقال لومبارد بفضول: ماذا قال؟

هز بلور كتفيه وقال: قال شيئاً ما عن ضآلة الوقت وعن رغبته في عدم إزعاجه.

وقطب الدكتور آرمسترونج جبينه وقال: إنني لأتعجب الآن...

-٣-

انتهى البحث خلال الجزيرة ووقف الرجال الثلاثة على قمتها ينظرون إلى الشاطئ الآخر. لم يكن في الأفق أية قوارب وكانت

الريح تشتد. وقال لومبارد: ليس هناك أية قوارب في الأفق. هنالك عاصفة تقترب. من المؤسف ألا نستطيع رؤية الأرض من هنا، لكنّا إذن أطلقنا إشارات أو أي شيء من هذا القبيل.

فقال بلور: يجب أن نوقد ناراً للإشارة هذه الليلة.

- أسوأ ما في الأمر أنه يبدو كله مرتباً.

- كيف؟

- كيف لي أن أعلم؟ من المحتمل أن القرية على علم بأن حفلة تجري هنا، ولذا فلن يلقى بال لأي إشارات منا.

قال بلور متشككاً: أتعتقد أنهم تقبلوا هذا؟

فقال لومبارد بجفاف: إن هذا أسهل على التصديق من الحقيقة. أتظن أن القرية تقبل أن تقفر الجزيرة قبل أن ينتهي السيد أوين المجهول هذا من قتل ضيوفه. أتعتقد هذا؟

وقال آرمسترونج: إنني أتعجب أين يكون قد اختفى؟

فقال بلور: ربما توجد حفرة في التل الصخري.

فقال لومبارد: ليس هناك سوى مكان واحد يمكن أن توجد فيه حفرة، وإذا أمكنكم أن تمسكوا لي بحبل فبإمكاني أن أتدلى فيه وأبحث الأمر.

قال بلور: حسناً، سأمضي للبحث عن حبل.

فقال لومبارد: إنك صامت تماماً يا دكتور. فيم تفكر؟

- إنني أفكر في مقدار جنون مكارثر العجوز عندما...

- ٤ -

ظلت فيرا قلقة طول الصباح وتجنبت إميلي برنت بنوع من الاشمئزاز. وكانت الآنسة برنت نفسها قد اتخذت لها مقعداً عند ركن من المنزل تجنباً للريح وجلست هناك تطرّز، وفي الشرفة الرئيسية جلس السيد جستيس وارجريف في كرسي هزاز، وكان رأسه مختفياً بين كتفيه.

وسارت فيرا في طريقها إلى شاطئ البحر، إلى الطرف الآخر من الجزيرة حيث يجلس رجل عجوز يحدق في الأفق. وتحرك الجنرال مكارثر عند اقترابها والتفت برأسه نحوها، وبدا في نظرته مزيج غريب من التساؤل والترقب. وأقلقتها نظرته، وظل يحدق فيها بإصرار لدقيقة أو اثنتين. وفكرت لنفسها: يا للغرابة، كما لو كان يعرف...

وقال هو: آه، إنه أنت. هل أتيت؟

جلست فيرا إلى جواره وقالت: أتحب الجلوس هنا والتحديق في البحر؟

هز رأسه بخفة وقال: نعم، لأمر ما. إنه -في رأيي- أنسب مكان للانتظار.

فقالت فيرا محتدة: للانتظار؟ ما الذي تنتظره؟

فقال بلطف: النهاية. ولكني أعتقد أنك تعرفين هذا، أليس كذلك؟ إنه حقيقي، أليس كذلك؟ إننا ننتظر النهاية كلنا.

قالت مهتزة: ماذا تعني؟

- لن يغادر أي منا هذه الجزيرة، هذه هي الخطة. إنك تعرفينها جيداً بالطبع، ولكن الذي لا تستطيعين فهمه هو الخلاص.

فقالت متعجبة: الخلاص؟

- نعم، إنك صغيرة، وبالطبع لم تصلي إلى هذا بعد، ولكنه آتٍ.

- أنا لا أفهمك.

- لقد أحببتُ ليزلي، أحببتها جداً، وكنت فخوراً بها. كانت جميلة جداً ومرحة. نعم، أحببتها، ولهذا فعلت ما فعلت.

- أتعني؟

فهز الجنرال مكارثر رأسه برفق وقال: لا فائدة من الإنكار الآن بينما نحن جميعاً في سبيلنا إلى الموت. لقد أرسلت رتشموند إلى حتفه. أعتقد أن هذا يعتبر جريمة بطريقة ما، جريمة... وأنا الذي عشت طيلة حياتي أخدم القانون. ولكن الأمر لم يبدُ هكذا وقتها، لم يخالجني أي ندم. ولكن فيما بعد...

- حسناً، فيما بعد؟

- لا أدري، لا أدري. كان الأمر يختلف تماماً كما ترين. لا أدري إن كانت ليزلي قد خمّنت. لا أعتقد هذا، ولكني لم أفهمها بعد ذلك أبداً. ثم ماتت وأصبحت وحيداً.

- وحيداً؟

- ستكونين مسرورة أنت الأخرى عندما تحين النهاية.

نهضت فيرا وقالت محتدة: لا أعلم ماذا تعني؟

- إنني أعرف يا طفلتي، إنني أعرف.

وعاد الجنرال مكارثر ينظر إلى البحر، فلم يعد هناك داعٍ لوجودها. وقال بلطف ونعومة: ليزلي...

-٥-

عندما عاد بلور إلى المنزل حاملاً على ذراعه لفة من الحبال وجد آرمسترونج واقفاً هناك يحدق إلى أسفل. وقال بلور لاهثاً: أين السيد لومبارد؟

فقال آرمسترونج بلا اكتراث: لقد ذهب يتحقق من بعض نظرياته، وسيعود في ظرف دقيقة. انظر إليّ يا بلور، إنني قلق.

- نحن كلنا أكثر قلقاً.

- بالطبع، بالطبع. إنني لا أعني هذا، إنني أفكر في مكارثر العجوز.

- ماذا عنه يا سيدي؟

- نحن نبحث عن مجنون. ما رأيك في مكارثر؟

- أتعني أنه سفاح؟

- لم أكن أقول هذا، ولا للحظة واحدة. ولكنني لست أخصائياً في الأمراض العقلية بالطبع. إنني لم أتبادل في الحقيقة

أي كلام معه، لم أدرسه من هذه الناحية.

- قد يكون متعب الأعصاب، ولكن لا يمكن أن أقول...

- من المحتمل أنك على حق. لعنة الله على الشكوك، لا بد أن هناك شخصاً مختبئاً في الجزيرة. آه، ها هو لومبارد آتٍ.

وربطا الحبل بعناية، وقال لومبارد: سأساعد نفسي بقدر الإمكان، وراقبا أنتما الحبل جيداً.

وبعد دقيقتين، وبينما كانا واقفين معاً يرقبان لومبارد قال بلور: إنه ينزل على الحبل كقط، أليس كذلك؟

كان هناك شيء غريب في صوته، وقال الدكتور آرمسترونج: أعتقد أنه قام بتسلق الجبال في وقت ما.

- ربما.

ولزما الصمت قليلاً، ثم قال رجل الشرطة السابق: أتعرف فيم أفكر؟

- في ماذا؟

- إنه مخطئ !

- في أي شيء؟

- لا أدري بالضبط، ولكني لا أثق فيه البتة.

- أعتقد أنه عاش حياة مليئة بالمخاطر.

- أراهن على أنه يحرص على إخفاء بعض مغامراته في

الظلام. هل تصادف أن أحضرت معك مسدساً يا دكتور؟

- أنا؟ كلا! ولماذا أحضر مسدساً؟

- ولماذا يحضره السيد لومبارد؟

- أعتقد أنها عادة.

وحدثت هزة مفاجئة في الحبل، وانشغلت أيديهما للحظة، وعندما فرغا قال بلور: هناك كثير من العادات. قد يأخذ السيد لومبارد مسدساً معه في الأماكن الخطيرة، ولكن العادة لن تجعله يحضر مسدساً معه إلى هنا. إن شخصيات الروايات هم فقط الذين يحملون معهم المسدسات أينما ذهبوا.

وهز الدكتور آرمسترونج رأسه في حيرة، ومالا ليرقبا تقدم لومبارد في مهمته. كان يقوم ببحث دقيق وكان بإمكانهما أن يريا مدى عقم هذا البحث، وسرعان ما صعد إلى قمة التل ومسح العرق من فوق جبينه وقال: حسناً، لا شيء هنا. إما إنه في المنزل أو أنه لا يوجد هناك أحد على الإطلاق.

-٦-

كان من السهل تفتيش المنزل. بدؤوا أولاً بالمباني الخارجية القليلة، وبعدها استداروا إلى المبنى الرئيسي. وبعد أن انتهوا من تفتيش الطابق السفلي، وبينما هم في طريقهم إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم، رأوا من نافذة الدرج روجرز يحمل صينية عليها كؤوس من العصير ويتجه بها إلى الشرفة،

فقال لومبارد: يا له من حيوان عجيب ذلك الخادم الماهر! إنه يمضي في عمله باتزان تام.

فقال آرمسترونج: إن روجرز ساقٍ من الطراز الأول.

وقال بلور: وزوجته كانت طاهية ممتازة هي الأخرى. ذلك العشاء في ليلة الأمس...

وتفرقوا إلى غرف النوم، وبعد خمس دقائق التقوا في الطابق السفلي. ليس هناك من يختبئ في المنزل وما من مكان يصلح للاختباء.

وقال بلور: هنالك سلم صغير.

فقال آرمسترونج: إنه يؤدي إلى غرف الخدم.

قال بلور: لا بد أن هناك مكاناً تحت السقف من أجل التخزين وخزانات المياه وغير ذلك. إنه أحسن مكان، بل إنه المكان الوحيد...

وفي تلك اللحظة سمعوا صوتاً يأتي من أعلى، الصوت خافت ولوقع أقدام، وسمعوا الصوت جميعاً. وأمسك آرمسترونج بذراع بلور ورفع لومبارد إصبعه محذراً وهو يقول: صه، هدوء.

وتناهى الصوت إلى أسماعهم مرة ثانية. كان صوت شخص ما يتحرك فوقهم خلسة وبرفق، وهمس آرمسترونج قائلاً: إنه الآن في حجرة النوم نفسها حيث يرقد جسد السيدة روجرز.

وردّ بلور قائلاً هو يهمس أيضاً: بالطبع، إنه أفضل مكان للاختباء يمكن اختياره إذ لا يذهب أحد إلى هناك أبداً الآن. الزموا الهدوء بقدر إمكانكم.

وتسللوا خلسة إلى الطابق العلوي، وتوقفوا برهة في الممر الصغير الموجود أمام غرفة النوم. نعم، لقد كان هناك شخص ما بداخل الغرفة. وسمعوا صوتاً خافتاً بالداخل، وهمس بلور: الآن.

وفتح الباب على مصراعيه ودخل يتبعه الآخران، ووقف الثلاثة بلا حراك.

لم يكن في الحجرة سوى روجرز الذي كان يقف ويداه محملتان بالملابس.

-٧-

وتمالك نفسه ثم قال: معذرة يا روجرز، لقد سمعنا صوت شخص يتحرك هنا فاعتقدنا... حسناً.

وتوقف عن الحديث فقال روجرز: معذرة يا سادة، لقد كنت أنقل حاجياتي، فقد ظننت أنه لا مانع من أن أنتقل إلى إحدى حجرات الضيوف بالطابق الأرضي، الحجرة الصغيرة.

كان روجرز يوجه الحديث إلى آرمسترونج الذي قال له: بالطبع، بالطبع يا روجرز. استمر في عملك.

كان آرمسترونج يتحاشى النظر إلى الجسد الملفوف بالملاءة والمسجى على السرير، وقال روجرز: شكراً لك يا سيدي.

وخرج من الغرفة ويداه محملتان بما يخصه من أشياء متجهاً إلى الطابق السفلي. وتحرك آرمسترونج نحو السرير فرفع الملاءة ونظر إلى الوجه الهادئ المسالم للمرأة الميتة. لم تكن على وجهها الآن أية علامات للخوف، وقال آرمسترونج: بودي لو كانت معي أدواتي هنا، لقد كنت أود معرفة الجرعة التي تناولتها.

واستدار إلى الرجلين الآخرين وقال: دعونا من هذا الأمر، أنا على يقين من أننا لن نعثر على شيء.

قال بلور: إن ذلك الرجل يتحرك بهدوء مريب، لقد رأيناه في الحديقة منذ دقيقة أو دقيقتين ولم يسمعه أحدنا وهو يصعد الطابق العلوي.

وقال لومبارد: وأعتقد أن هذا هو السبب في أننا افترضنا وجود غريب هناك.

ثم اختفى بلور في الظلمة الحالكة وأخرج لومبارد من جيبه مصباحاً صغيراً وتبعه، وفي غضون خمس دقائق كان الرجال الثلاثة يقفون في أحد الممرات ينظرون بعضهم إلى بعض. كانت تعلوهم القذارة وخيوط العنكبوت تلتصق بوجوههم المتجهمة.

لم يكن على الجزيرة أحد سواهم!

* * *

الفصل التاسع

-١-

قال لومبارد ببطء: هكذا كنا مخطئين تماماً. بنينا حلماً مخيفاً من مخيلاتنا لمجرد حدوث وفاة شخصين.

فقال آرمسترونج في أسى: ورغم ذلك فإن الأمر يحتمل النقاش. أنا طبيب وأعرف شيئاً ما عن الانتحار، وأنتوني مارستون ليس من النوع الذي ينتحر.

قال لومبارد في شك: أعتقد أن الأمر لا يمكن أن يكون حادثاً.

فقال بلور مستهزئاً وغير مصدق: حوادث لعينة غريبة.

وتوقفوا قليلاً ثم عاد بلور يقول: أما عن المرأة... ثم توقف ثانية.

- السيدة روجرز.

- نعم، أليس من المحتمل أن تكون وفاتها مجرد حادثة؟

فقال فيليب لومبارد: حادثة؟ كيف؟

وبدا بلور محرجاً شيئاً ما، وازداد احمرار وجهه وقال وهو يدغم الكلام: انتظر يا دكتور، لقد أعطيتها مادة طبية كما تعلم.

وحدق فيه آرمسترونج وقال: مادة طبية؟ ماذا تعني؟

- في الليلة الماضية. لقد قلت بنفسك إنك أعطيتها دواء لتنام.

- آه، تعني هذا؟ إنه منوم غير ضار.

- ما هو بالضبط؟

- لقد أعطيتها جرعة مخفضة من التريونال، مزيج غير ضار أبداً.

ازداد احمرار وجه بلور وقال: استمع إليّ، لا داعي لتعقيد الأمور، ألم تعطِها جرعة مضاعفة؟

فقال آرمسترونج بغضب: لا أعرف ما الذي تعنيه؟

- من المحتمل أن تكون قد أخطأت، أليس كذلك؟ إن هذه الأشياء كثيراً ما تحدث.

قال آرمسترونج محتداً: لم أفعل شيئاً من هذا القبيل، هذا اقتراح تافه.

وتوقف ليضيف بلهجة باردة لاذعة: أم تعني أنني قد أعطيتها جرعة مضاعفة عن قصد؟

فقال فيليب لومبارد سريعاً: استمعا إلي أنتما الاثنين! يجب أن نحتفظ بتوازننا، لا تجعلانا نبدأ في توجيه التهم بعضنا إلى بعض.

فقال بلور فجأة: لقد قلت فقط إن الطبيب ربما يكون قد ارتكب خطأ.

فبذل الطبيب جهداً كي يبتسم وقال: إن الأطباء لا يستطيعون ارتكاب أخطاء من هذا القبيل يا صديقي.

فقال بلور: لن يكون هذا أول خطأ ترتكبه... إذا كان علينا أن نصدق تلك الأسطوانة.

شحب وجه آرمسترونج فقال لومبارد مسرعاً وفي صوته نبرة غاضبة: ماذا تقصد من جعل نفسك مثاراً للمضايقات؟ إننا كلنا في نفس المأزق ويجب أن نتحد معاً، وماذا عن تهمتك أنت؟

خطا بلور إلى الأمام وقد تقلصت قبضتاه وقال بصوت حاد: تهمة ملعونة! إنها كذبة حمقاء. حاول أن تسكتني يا سيد لومبارد، ولكن هناك أشياء أود معرفتها، وواحد منها هو أنت.

ارتفع حاجبا لومبارد وقال: أنا؟

- نعم، أريد أن أعرف السبب في إحضارك مسدساً معك خلال زيارة اجتماعية لطيفة.

- تريد أن تعرف، أليس كذلك؟

- بلى، أريد أن أعرف يا سيد لومبارد.

قال لومبارد على غير توقع: أتعرف يا سيد بلور؟ إنك لست غبياً كما يبدو عليك.

- هذا محتمل، ماذا عن المسدس؟

فابتسم لومبارد وقال: لقد أحضرته لأنني توقعت أن أتعرض لبعض المتاعب.

فقال بلور متشككاً: أنت لم تخبرنا بهذا في الليلة الماضية. ثم هز رأسه وعاد يقول في إصرار: لقد كنت تخفي عنا أسراراً.

- نعم، إلى حد ما.

- حسناً، هيا اكشف الستر.

قال لومبارد في بطء: لقد تركتكم كلكم تعتقدون أنني دُعيت إلى هنا بنفس الطريقة التي جاء بها معظم الباقين، لكن هذا ليس صحيحاً. في الحقيقة لقد اتصل بي وسيط اسمه موريس وعرض عليّ مئة جنيه كي أحضر إلى هنا وأراقب الموقف، قائلاً إن لي سمعة طيبة عن حسن التصرف في المواقف الحرجة.

قال بلور بصبر نافد: حسناً؟

- هذا كل ما هنالك.

فقال آرمسترونج: ولكن من المؤكد أنه أخبرك بما هو أكثر من هذا.

- كلا، لم يفعل. لقد أطبق فمه تماماً، وكان بإمكاني أن أقبل الأمر أو أرفضه. كانت هذه هي كلماته، وكنت مفلساً فقبلت الأمر.

بدا عدم الاقتناع على بلور وقال: ولماذا لم تخبرنا بكل هذا بالأمس؟

- يا عزيزي، وكيف لي أن أعرف أن ليلة الأمس لم تكن هي الموقف الذي كان عليّ أن أواجهه؟

فقال الدكتور آرمسترونج: ولكن الآن، هل تعتقد أن الأمر قد اختلف؟

تغير وجه لومبارد، فقد تصلّب وقال: نعم، إنني أؤمن الآن بأنني أركب نفس القارب مع الآخرين. لقد كانت تلك الجنيهات المئة هي قطعة الجبن التي جذبني بها السيد أوين إلى المصيدة مع باقي المجموعة.

ثم أضاف بهدوء: نحن في مصيدة، أقسم على ذلك. وفاة السيدة روجرز ووفاة توني مارستون واختفاء تمثالَي الطفلين من على مائدة الطعام! نعم، إن يدي السيد أوين لواضحتان للعيان. ولكن أين يوجد السيد أوين نفسه؟!

ومن أسفل جاء إليهم البوق يدعوهم لتناول الغداء.

-٢-

كان روجرز واقفاً إلى جوار باب غرفة المائدة، وعندما نزل الرجال الثلاثة من على السلم خطا خطوتين وقال بصوت منخفض قلق: آمل أن يكون الغذاء مرضياً. يوجد لحم بارد، وقد سلقت بعض البطاطا، كما يوجد جبن وبعض البسكوت وفاكهة معلبة.

فقال لومبارد: إن هذا ليبدو على ما يرام، المخازن ممتلئة إذن.

ودخلت الآنسة برنت الغرفة. كانت تعيد لفّ كرة من خيوط الصوف سقطت منها على الأرض، وقالت وهي تجلس: لقد أخذ الجو يتغير فاشتدت الريح وتعالت الأمواج.

وجاء السيد جستيس وارجريف يسير بخطى متئدة، ورمق الجالسين إلى المائدة بنظرات سريعة من تحت جفنيه ثم قال: لقد قضيتم صباحاً نشيطاً.

كان في صوته رنة خفيفة من المتعة الشيطانية. وجاءت فيرا بسرعة وقد تهدجت أنفاسها وقالت: أرجو ألاّ أكون قد تأخرت عليكم.

فقالت إميلي برنت: أنت لست آخر القادمين، فإن الجنرال لم يأت بعد.

جلسوا حول المائدة، وقال روجرز: هل ستبدؤون أم ستنتظرون؟

فقالت فيرا: إن الجنرال مكارثر يجلس على شاطئ البحر، ولا أعتقد أنه قد سمع صوت البوق. إنه غامض شيئاً ما هذا الصباح.

فقال روجرز مسرعاً: سأذهب لأخبره أن موعد الطعام قد حان.

فقفز الدكتور آرمسترونج وقال: سأذهب أنا، وابدؤوا أنتم غداءكم.

وغادر الغرفة، ومن خلفه جاء صوت روجرز يقول: أتأخذين لحماً بارداً يا سيدتي؟

-٣-

بدا أن الأشخاص الخمسة الجالسين حول المائدة يجدون صعوبة في تبادل الحديث، وفي الخارج كانت الريح تزمجر. وارتجفت فيرا قليلاً ثم قالت: هناك عاصفة توشك أن تهب.

وحاول بلور أن يسهم في دفع الحديث فقال: كان هناك رجل عجوز في القطار القادم من بلايموث بالأمس وظل يقول إن عاصفة ستهب. إني لأعجب كيف يعرف الجو، هؤلاء البحارة العجائز!

وأخذ روجرز يطوف بالمائدة يجمع أطباق اللحم الفارغة، وفجأة توقف حاملاً الأطباق على يديه وقال بصوت خائف غريب: هنالك شخص قادم يجري نحونا.

وكان بإمكانهم كلهم أن يسمعوا وقع أقدام تجري في الشرفة. وفي هذه اللحظة عرفوا، عرفوا دون أن يخبرهم أحد.

وكما لو كان باتفاق عام، نهضوا كلهم واقفين ووقفوا ينظرون إلى الباب، وظهر الدكتور آرمسترونج وهو يلهث بصعوبة وقال: الجنرال مكارثر.

- مات؟

خرجت الكلمة باندفاع من فم فيرا، فقال آرمسترونج: نعم، لقد مات.

وران صمت طويل، ونظر سبعة أشخاص بعضهم إلى بعض دون أن يجدوا كلمة يقولونها.

– ٤ –

وبينما كانت جثة الرجل العجوز تدخل من باب البيت محمولة والعاصفة المنتظَرة تهبّ، كان الآخرون واقفين بالردهة. وحين كان بلور وآرمسترونج يصعدان الدرج بحملهما استدارت فيرا فجأة وأسرعت إلى غرفة الطعام الخالية.

كانت الغرفة كما تركوها وأطباق الحلوى موضوعة على مائدة جانبية استعداداً لتقديمها. ومضت فيرا إلى المائدة، وبعد دقيقة أو اثنتين دخل روجرز الغرفة بهدوء، ودهش عندما رآها، ثم بدا في عينيه سؤال وقال لها: أوه يا آنسة، لقد حضرت كي أرى...

قالت فيرا بصوت خشن عال أدهشها هي نفسها: أنت على حق يا روجرز، انظر بنفسك. لا يوجد سوى سبعة!

– ٥ –

سُجّي الجنرال مكارثر على سريره، وبعد أن فحصه آرمسترونج أخيراً غادر الغرفة ونزل إلى الطابق السفلي حيث وجد الآخرين مجتمعين في غرفة الاستقبال. كانت الآنسة برنت تطرز وفيرا واقفة تنظر من النافذة إلى العاصفة وبلور في مقعده واضعاً راحتيه على ركبتيه، أما لومبارد فراح يذرع الغرفة دون توقف، والسيد وارجريف يجلس في نهاية الغرفة على كرسي كبير وعيناه نصف مغلقتين. وفتح عينيه عندما دخل الطبيب الغرفة وقال بصوت نفاذ واضح: حسناً يا دكتور؟

كان آرمسترونج شاحب الوجه جداً وقال: ليس هناك أي احتمال لأزمة قلبية أو أي شيء من هذا القبيل، لقد ضُرب مكارثر بشيء ثقيل على مؤخرة رأسه.

وعلت همهمة، ولكن صوت القاضي الواضح ارتفع من جديد يقول: وهل عثرت على السلاح المستخدَم؟

- كلا.

- ورغم هذا فأنت واثق مما قلته؟

- كل الثقة.

- إننا نعرف بالضبط أين نقف.

ولم يعد هناك أي شك فيمن يتولى مسؤولية الموقف الآن. لقد أمضى وارجريف الصباح بأكمله جالساً بالشرفة وقد عزفت نفسه عن أي نشاط، ولكنه يتولى القيادة الآن بسهولة استقاها من مرانه الطويل عليها. إنه يترأس القاعة الآن، وقد قال: بينما كنت أجلس في الشرفة هذا الصباح -أيها السادة- كنت أرقب ما تفعلون. لم يكن غرضكم ليحتمل الكثير من الشكوك، لقد كنتم تبحثون عن قاتل مجهول.

فقال لومبارد: تماماً يا سيدي.

- لقد وصلتم دون شك إلى نفس النتيجة التي توصلت إليها، وهي أن وفاة أنتوني مارستون والسيدة روجرز لم تكونا قضاء وقدراً أو انتحاراً، ولا شك أنكم قد توصلتم إلى نتيجة معينة حول غرض السيد أوين من إحضارنا كلنا إلى هذه الجزيرة.

فقال بلور بصوت خشن: إنه مجنون، مجنون، مخبول.

– هذا مؤكد تماماً، ولكنه لا يؤثر على النتيجة. إن شاغلنا الأساسي هو إنقاذ حياتنا.

فقال آرمسترونج بصوت مهزوز: ليس هناك أحد غيرنا على الجزيرة، صدقني، لا أحد.

– حقاً، لا يوجد أحد بالمعنى الذي تقصده. لقد توصلت إلى هذه النتيجة مبكراً هذا الصباح، وكان بإمكاني أن أخبركم أن بحثكم لا جدوى منه. ورغم هذا فإنني أميل ميلاً قوياً إلى أن السيد أوين (إذا أعطيناه هذا الاسم الذي اتخذه لنفسه) يقيم في الجزيرة، هذا مؤكد. لا توجد سوى طريقة واحدة لتنفيذ خطته في عقاب بعض المذنبين الذين لا تندرج ذنوبهم تحت طائلة القانون، ولا يمكن أن يكون السيد أوين قد حضر إلى الجزيرة إلا بطريقة واحدة. إنه لأمر غاية في الوضوح... إن السيد أوين واحد منا!

– أوه! كلا، كلا، كلا...

كان هذا هو صوت فيرا التي انفجرت فيما يشبه الأنين، ونظر القاضي إليها بحدة وقال: يا عزيزتي، هذا ليس وقتاً مناسباً لتجنب الحقائق، نحن كلنا في خطر شديد. إن السيد أوين واحد منا، ونحن لا نعرف من هو، ومن الأشخاص العشرة الذين أتوا إلى هذه الجزيرة هناك ثلاثة موقفهم واضح تماماً. أنتوني مارستون والسيدة روجرز والجنرال مكارثر ليست عليهم أية شبهة، وهكذا يبقى سبعة منا، ومن هؤلاء السبعة هناك واحد تنحصر فيه الشبهات.

وتوقف ونظر حوله ثم قال: هل توافقونني على هذا الرأي؟

فقال آرمسترونج: إنه خيالي، ولكن أعتقد أنه صحيح.

وقال بلور: لا شك في هذا، ولو سألتموني فإن عندي فكرة رائعة.

ولكن إشارة سريعة من يد القاضي أسكتته، ثم قال بهدوء: سنصل إلى هذا حالاً، ولكن في اللحظة الراهنة كل ما أريد التأكد منه هو أننا جميعاً نوافق على الحقائق السابقة.

قالت إميلي برنت دون أن تتوقف عن التطريز: أقوالك تبدو منطقية، وأنا أوافق على أن الشيطان قد تقمص أحدنا.

وهمست فيرا: لا أستطيع تصديق هذا، لا أستطيع.

فقال وارجريف: وأنت يا لومبارد؟

- أنا أوافق تماماً يا سيدي.

هزّ القاضي رأسه بارتياح ثم قال: والآن دعونا نفحص الشواهد. أولاً: هل هناك أي أسباب تؤدي إلى الشك في شخص معين بالذات؟ إن عندك ما تقوله يا سيد بلور فيما أعتقد.

قال بلور وهو يتنفس بصعوبة: أن مع لومبارد مسدساً، وهو لم يقل الحقيقة بالأمس، وقد اعترف بهذا.

فابتسم فيليب لومبارد في احتقار وقال: أعتقد أن من المستحسن أن أوضح الأمر ثانية.

ثم أعاد على أسماعهم باختصار ما سبق أن قاله لبلور وآرمسترونج، فقال القاضي: إننا كلنا في نفس الموقف للأسف، فليس لدينا ما يؤيدنا سوى أقوالنا نحن. إن واحداً منكم لا يحس بدقة الموقف الذي يحيط بنا، وفي رأيي أنه ليس أمامنا سوى طريقة واحدة. هل هناك أي منا يمكن أن نخرجه من دائرة شكوكنا؟

فقال آرمسترونج بسرعة: أنا رجل معروف جيداً في مهنتي، ومجرد التفكير في وضعي موضع الشك...

ومرة أخرى أسكتت حركة من يد القاضي، جستيس وارجريف، المتكلمَ قبل أن يتم حديثه. وقال بصوت واضح: أنا أيضاً رجل معروف، ولكن هذا لا يثبت شيئاً يا سيدي العزيز. لقد جن أطباء كثيرون من قبل، كما جن قضاة، وكذلك رجال شرطة!

قال لومبارد: على أي حال أعتقد أنك ستخرج المرأتين من دائرة الشك.

فقال القاضي بصوته القاسي المعروف جيداً في دوائر القضاء: هل أفهم من ذلك أنك تؤكد أن النساء لسن عرضة لجنون القتل؟

- كلا بالطبع، ولكن رغم هذا فإنه من الصعب احتمال...

وتوقف، وعاد القاضي يخاطب آرمسترونج بنفس الصوت: أعتقد يا دكتور أن النساء قادرات على توجيه ضربة مماثلة لتلك التي قتلت مكارثر.

- تماماً، وإذا ما أعطين الآلة الملائمة، مثل قضيب من المطاط الصلب.

- ولن يحتاج الأمر إلى قوة خارقة؟

- نعم.

- وقد حدثت الحالتان الأخريان من استعمال أدوية، ولا يستطيع أي شخص أن يحاول إنكار ذلك، ففي استطاعة أقل الناس حجماً أن يفعل هذا.

فصاحت فيرا بغضب: أعتقد أنك قد جننت.

- يا عزيزتي، حاولي التحكم في عواطفك. أنا لا أتهمك، وأرجو ألا يضايقك يا آنسة برنت إصراري على أننا جميعاً متساوون في تعرضنا للشك.

كانت إميلي برنت ما تزال تطرز، ولم ترفع عينيها عن عملها وبصوت بارد قالت له: إن فكرة قضائي على حياة مخلوق (إذا تجاهلنا مسألة قتل ثلاثة مخلوقات) هي فكرة تافهة لكل من يعرف شيئاً عن شخصيتي، ولكنني أقدر تماماً أننا غرباء بعضنا عن بعض، وفي مثل هذه الظروف لا يبرأ أي شخص إلا ببراهين قوية. وكما قلت من قبل، فقد تقمص الشيطان واحداً منا.

- أي أننا كلنا موافقون، وليس هناك أي استثناء على أساس الشخصية أو المركز وحدهما.

قال لومبارد: وماذا عن روجرز؟

- ماذا عنه؟

- حسناً، حسب فهمي فإن روجرز يخرج من الموضوع تماماً.

- على أي أساس؟

- أولاً: ليس لديه الذكاء لهذا العمل، وثانياً: فإن زوجته إحدى الضحايا.

- عندما كنت قاضياً -أيها الشاب- حاكمت رجالاً كثيرين بتهمة قتل زوجاتهم، وقد ثبتت إدانتهم.

- حسناً، إنني أوافقك. إن قتل الزوجة ممكن جداً، بل وطبيعي، وقد أصدق أن روجرز قتل زوجته لخوفه من انهيارها أو لأنه يكرهها أو لأنه يريد الزواج بفتاة أجمل منها، ولكنني لا أرى فيه السيد أوين المجنون الذي يقتل الناس إحقاقاً للعدل فيبدأ العقاب لجريمة ارتكباها معاً.

- إنك تأخذ الغرض كدليل. نحن لا نعرف إن كان روجرز وزوجته قد تآمرا لقتل مخدومتهما أم لا. قد يكون هذا اتهاماً زائفاً الغرض منه أن تبعد الشبهات عن روجرز، وقد يكون رعب السيدة روجرز راجعاً إلى إدراكها لاختلال عقل زوجها.

- حسناً، فليكن ما تريد. إن السيد أوين واحد منا، وغير مسموح بأي استثناء، وكلنا عرضة للشك.

- في رأيي أنه لا يجب أن يستثنى أي أحد بناء على شخصيته أو مركزه. يجب أن ندرس احتمال براءة أي منا على حقائق. وكي أوضح الأمر أقول إن واحداً (أو أكثر) منا لم يكن في استطاعتهم دس السم لأنتوني مارستون أو مضاعفة جرعة

المنوم للسيدة روجرز ولم يكن أمامهم الفرصة لقتل جنرال مكارثر.

قال بلور باهتمام: أنت تتكلم الصواب الآن يا سيدي. هذا هو الموضوع، فلنمضِ فيه. أما بخصوص مارستون فلا أعتقد أي شيء يمكن عمله، لقد خمنّا بالفعل أن شخصاً من الخارج قد وضع السم في كأسه قبل أن يملأه مارستون ثانية، ولكن أي شخص في داخل الغرفة كان أقدر على فعل هذا بسهولة. ولا أستطيع أن أتذكر إذا ما كان روجرز في الغرفة وقتها أم لا، ولكن أي واحد منا كان بإمكانه أن يفعلها.

وتوقف قبل أن يواصل القول: والآن خذ تلك المرأة، السيدة روجرز، لقد أحاط بها زوجها والدكتور آرمسترونج، وأي منهما كان يستطيع فعلها بأسهل من الغمز.

قفز آرمسترونج واقفاً وقال وهو يرتجف: أنا أحتجّ، هذا كذب محض. إنني أقسم أن الجرعة التي أعطيتها للمرأة كانت مضبوطة.

- دكتور آرمسترونج !

كان الصوت الخافت ملزماً، فسكت الطبيب بينما مضى الصوت البارد يقول: إن استياءك طبيعي جداً، ورغم ذلك عليك أن تعترف بأننا يجب أن نواجه الحقائق. لم يكن بإمكان أحد مضاعفة الجرعة سواك أنت وروجرز. ودعنا الآن نفحص موقف الموجودين الآخرين: ما هي فرصتهم في دس السم؟ هل يمكن تبرئة أي منا تماماً؟ لا أعتقد.

قالت فيرا غاضبة: لم أكن قريبة من المرأة على الإطلاق، ويمكنكم كلكم أن تشهدوا بهذا.

- بقدر ما تسمح لي ذاكرتي فإن الحقائق كانت كما يلي (وأرجو أن يراجعني أي منكم لو أخطأت): لقد رفع أنتوني ومارستون والسيد لومبارد السيدة روجرز ووضعاها على الأريكة، ثم ذهب الدكتور آرمسترونج إليها، وأرسل روجرز كي يحضر الشراب، وعندئذٍ أثير سؤال عن المكان الذي أتى منه الصوت وذهبنا كلنا إلى الغرفة المجاورة، باستثناء الآنسة برنت التي بقيت في هذه الغرفة وحدها مع المرأة المغمى عليها.

ارتفعت الدماء إلى وجنتي إميلي برنت وتوقفت عن التطريز وقالت: هذه وقاحة.

- وعندما عدنا إلى الغرفة كنتِ منحنية يا آنسة برنت فوق المرأة المسجاة على الأريكة.

- هل التعاطف الإنساني جريمة؟

- إنني أرتب الحقائق فقط. وعندئذٍ دخل روجرز الغرفة حاملاً الشراب الذي كان بإمكانه إضافة أي شيء إليه قبل دخوله، وشربت المرأة، وبعدها حملها زوجها والدكتور آرمسترونج إلى غرفتها حيث أعطاها آرمسترونج منوماً.

قال بلور: هذا ما حدث بالضبط، وهذا يخلي القاضي والسيد لومبارد الآنسة كليثون وأنا من المسؤولية.

- آه، هل هذا حق؟ يجب أن نأخذ في اعتبارنا كل احتمال ممكن.

- لا أفهم ما ترمي إليه.

- كانت السيدة روجرز ترقد في سريرها، وبدأ المنوم الذي أعطاه لها الدكتور يحدث أثره. وإذا فرضنا أن شخصاً ما نقر على الباب في هذه اللحظة ودخل إليها حاملاً دواء أو حبوباً ورسالة تقول إن الطبيب يأمرها بتناولها، أتستطيع أن تتخيل أنها لم تكن لتبتلع الدواء في طاعة عمياء؟

ران الصمت، وحرك بلور قدميه وهو مقطب الوجه، وقال فيليب لومبارد: لا أصدق هذه القصة أبداً، وبالإضافة إلى هذا فإن أحداً منا لم يغادر الغرفة لساعات بعد ما حدث. فقد حدثت -فيما بعد- وفاة مارستون وكل ما تلاها.

- كان في مقدور أي واحد مغادرة غرفة نومه فيما بعد.

- ولكن روجرز كان في غرفتهما وقتها.

قال آرمسترونج: لا، لقد ذهب روجرز لتنظيف غرفة المائدة وكان في مقدور أي شخص أن يتسلل إلى غرفة المرأة دون أن يراه أحد.

قالت إميلي برنت: بالتأكيد يا دكتور كانت المرأة غارقة عندئذٍ تحت تأثير المنوم الذي أعطيته لها.

- نعم، هذا متحمل ولكنه ليس مؤكداً. لن تستطيع أن تعرف مدى تأثير المنوم على المريض قبل فحصه أكثر من مرة.

فقال لومبارد: إنك تقول هذا بالطبع يا دكتور، فهذا يناسب موقفك، أليس كذلك؟

ومرة ثانية ظهر الغضب على وجه آرمسترونج، ولكن صوت القاضي البارد عاد يتعالى قائلاً: لن نجني فائدة من تبادل الاتهامات. يجب علينا ألاّ نعالج سوى الحقائق وحدها. إن من المقبول على ما أعتقد أن الاحتمال الذي أوضحته قائم، وأنا أوافق على أن قيمته ليست كبيرة. إن ظهور الآنسة برنت أو الآنسة كليثون قد لا يثير الدهشة في نفس المريضة، وأوافق على أن ظهوري أو ظهور السيد لومبارد أو السيد بلور قد يكون غريباً، ورغم ذلك أقول إن المرأة قد تكون قبلت الزيارة دون إثارة أي شك في نفسها.

قال بلور: وإلى أين يقودنا هذا؟

-٦-

قال السيد وارجريف وهو يربت على شفتيه وقد بدا خالياً من العواطف والإنسانية: لقد بحثنا الآن الجريمة الثانية ووصلنا إلى أنه لا يمكن تبرئة أي منا من الشكوك فيما يتعلق بالجريمتين، وبعدها نمضي إلى مقتل الجنرال مكارثر. لقد حدث هذا في الصباح، وإني أطلب من أي واحد منكم يستطيع أن يثبت بعده عن مكان الحادث أن يذكر هذا صراحة. أنا شخصياً ليس عندي إثبات قاطع على بعدي عن مسرح الحادث، فقد قضيت الصباح كله جالساً على مقعد في الشرفة أفكر فيما آل إليه حالنا، حتى نُفخ البوق يدعونا لتناول غدائنا. ولكن مرت بي فترات طويلة لم أكن مراقَباً فيها، فكان من الممكن لي خلال هذه الأوقات أن أمضي إلى شاطئ البحر

فأقتل الجنرال مكارثر ثم أعود إلى مقعدي، وليس لديّ سوى قَسَمي بأنني لم أغادر الشرفة، وفي هذه الظروف فإن قَسَمي غير كافٍ، يجب أن يوجد الدليل.

قال بلور: أنا قضيت الصباح كله مع السيد لومبارد والدكتور آرمسترونج، وهما يشهدان على ذلك.

فقال آرمسترونج: لقد ذهبتَ إلى المنزل لإحضار حبل.

- لقد ذهبتُ بالطبع، ذهبتُ مباشرة إلى المنزل ثم عدت فوراً، أنت تعرف هذا.

- لقد قضيتَ وقتاً طويلاً.

احمرّ وجه بلور وصاح: ماذا تقصد بالله عليك يا دكتور آرمسترونج؟

- لقد قلتُ إنك غبت طويلاً.

- ألم يكن عليّ أن أبحث عن الحبل؟ لا يمكن أن يعثر المرء على لفة من الحبال في دقيقة.

سأل القاضي: وخلال غيبة السيد بلور، أكنتما معاً أيها السيدان؟

قال آرمسترونج: بالطبع، أقصد أن لومبارد مضى لدقائق قليلة وبقيت وحدي حيث كنت.

فقال لومبارد مبتسماً: لقد أردت الوقوف على مدى إرسال إشارات من أشعة الشمس إلى الشاطئ المقابل، وكنت أبحث عن أفضل موقع ولم أغب سوى دقيقة أو اثنتين.

وأومأ آرمسترونج موافقاً وقال: هذا حق، لم يغب ما يكفي لارتكاب جريمة قتل. إني أؤكد هذا.

فقال القاضي: هل نظر أي منكما في ساعته؟

قال الطبيب: حسناً، لا.

وقال لومبارد: لم تكن ساعتي معي.

فقال القاضي: إن دقيقة أو اثنتين تعبير غامض.

ثم أدار رأسه إلى المرأة التي كانت مستمرة في تطريزها وقال: وأنت يا آنسة برنت؟

- لقد تمشيت مع الآنسة كليثون إلى قمة الجزيرة، وبعدها جلست أتشمس في الشرفة.

- لا أذكر أنني رأيتك هناك.

- كنت جالسة في الركن الشرقي للمنزل بعيداً عن الهواء.

- وجلستِ هناك حتى حان موعد الطعام؟

- نعم.

- وأنت يا آنسة كليثون؟

- كنت مع الآنسة برنت في الصباح المبكر، وبعد ذلك تجولت قليلاً، ثم ذهبت وتبادلت الحديث مع الجنرال مكارثر.

- متى كان ذلك؟

- لا أدري. قبل الغداء بساعة تقريباً على ما أعتقد، أو ربما أقل.

سألها بلور: أكان هذا قبل أن نتحدث معه أو بعدها؟

- لا أدري، لقد كان غريباً جداً.

سألها القاضي: كيف؟

- قال إننا كلنا سنموت، وقال إنه ينتظر نهايته. لقد... لقد أخافني.

- وماذا فعلت بعد ذلك؟

- عدت إلى المنزل. وبعد ذلك، وقبيل الغداء مباشرة، ذهبت خلف المنزل. لقد كنت قلقة للغاية طوال هذا اليوم.

- يبقى روجرز. رغم أنني أشك فيما إذا كانت أقواله ستضيف شيئاً إلى حصيلتنا من المعلومات.

ولم يكن لدى روجرز (الذي استُدعي إلى قاعة المحكمة) سوى القليل من القول. كان مشغولاً كل الصباح بالأعمال المنزلية وبإعداد الطعام، وقد حمل صينية من كؤوس العصير إلى الشرفة قبل الغداء ثم عاد لينقل حاجياته إلى غرفة أخرى، ولم ينظر من النافذة طيلة الصباح فلم يرَ أي شيء يتصل بمقتل الجنرال مكارثر. وإنه ليقسم أنه رأى ثمانية تماثيل خزفية على مائدة الطعام عندما وضع فوقها صحاف الغداء.

وتوقف الحديث بعد نهاية أقوال روجرز، وتنحنح السيد جستيس وارجريف القاضي، وهمس لومبارد لفيرا: سيبدأ الآن تلخيص الوقائع.

قال القاضي: لقد بحثنا هذه الجرائم الثلاث بقدر

استطاعتنا، وبينما يزداد الاحتمال ضد البعض منا في واحدة منها إلاّ أننا لا نستطيع أن نجزم بأنه يمكن تبرئة أي شخص تبرئة تامة. وإنني لمتأكد من اعتقادي بأن واحداً من السبعة الموجودين في هذه الغرفة به لوثة جنون، وليس لدينا من دليل يقوم ضد أي شخص معين، وكل ما نستطيع بحث في اللحظة الراهنة هو طريقة الاتصال بالشاطئ الآخر طلباً للمعونة. وفي حالة تأخر وصول المعونة فما هي أنسب الطرق لضمان سلامتنا؟ إنني أطلب إليكم كلكم أن تبحثوا الأمر بعناية وتدلوا إليّ باقتراحاتكم، وفي الوقت نفسه فإنني أحذر كل شخص ليتخذ حذره، فحتى الآن كان العمل سهلاً أمام القاتل، إذ لم يتوقع من ضحاياه أي شر، ولكن منذ هذه اللحظة فإن واجبنا أن يحذر بعضنا البعض. لا تخاطروا وتوقعوا أي خطر، هذا كل ما هنالك.

وهمس لومبارد: ستنفضّ الجلسة الآن.

* * *

الفصل العاشر

-١-

سألته فيرا: هل تصدق هذا؟

كانت تجلس مع فيليب لومبارد على قاعدة نافذة في غرفة المعيشة، وفي الخارج كانت الأمطار تتساقط بغزارة والريح تصفر وتهز زجاج النافذة بعنف. وأمال فيليب لومبارد رأسه قليلاً إلى الناحية الأخرى ثم قال: أتعنين إن كنت أعتقد صحة قول وارجريف العجوز بأن واحداً منا هو الجاني؟

- نعم.

- من الصعب أن يجزم الإنسان برأي، وكما تعرفين فإن قوله صحيح منطقي. ولكن...

- ولكنه يبدو بعيداً عن التصديق.

- الموضوع كله بعيد عن التصديق. ولكن بعد مقتل الجنرال مكارثر لم يعد هناك شك في أمر واحد. ليس هناك احتمال للقضاء والقدر أو الانتحار، إنه قتل محض، ثلاثة جرائم قتل حديثة الوقوع متتابعة.

- إن الأمر يبدو كحلم مزعج. إنني أفكر دائماً بأن شيئاً من هذا القبيل لا يمكن أن يحدث.

- أعلم هذا، وفي الحال ستسمعين دقاً على الباب ثم يدخل إليك شاي الصباح.

- أوه، كم أتمنى أن يحدث هذا.

- نعم، ولكنه لم يحدث. إننا كلنا في الحلم، ويجب علينا أن نأخذ حذرنا من الآن فصاعداً.

- لو... لو كان واحداً منهم فأيهم هو في رأيك؟

- أفهم أنك قد استثنيتنا كلينا. حسناً، هذا صحيح. أنا أعلم جيداً أنني لست القاتل، ولا أتخيل أنه أنت. إنك تبدين لي من أكثر الفتيات اللاتي رأيتهن تعقلاً واتزاناً، وأنا أقسم بشرفي على هذا.

قالت فيرا وهي تبتسم: شكراً.

- هيا يا آنسة فيرا، ألن تردي لي مجاملتي؟

ترددت فيرا قبل أن تقول: لقد اعترفت أنت -كما تعلم- بأنك لا تقيم وزناً كبيراً لحياة الإنسان. ولكن رغم هذا، لا أستطيع أن أراك كذلك... كذلك الرجل الذي أملى تلك الأسطوانة.

- هذا حق. لو كنت سأرتكب جريمة قتل أو أكثر فإنما أصنع ذلك من أجل ما سأحصل عليه منها. إن هذا النوع من الجرائم ليس مما يتفق مع ميولي. حسناً، إننا سنبرئ أنفسنا ونبحث في أمر الآخرين. من منهم السيد أوين؟ حسناً،

بالتخمين ودون أن يكون لديّ أساس أعتمد عليه في التخمين فإنني أتهم وارجريف.

قالت فيرا مندهشة: أوه! ولماذا؟

- من الصعب أن أوضح لك، ولكن لنبدأ القول بأنه رجل عجوز ظل يرأس دوائر القضاء لسنين عديدة. أي أنه قد لعب دور مندوب العدالة الإلهية لشهور عديدة من كل عام، ولا بد أن هذا قد ارتقى بتفكيره فأخذ يفكر في نفسه كأقوى الناس، المتحكم في الحياة والموت، ومن المحتمل أن عقله قد انحرف فأراد أن يقوم بدور القاضي والجلاد معاً في وقت واحد.

- نعم، أعتقد أن هذا محتمل.

- ومن الذي تتهمينه أنت؟

وبدون أي تردد أجابت: الدكتور آرمسترونج.

صفر لومبارد بفمه صفيراً خافتاً ثم قال: الطبيب؟ أتعرفين، لقد كنت أضعه في آخر القائمة.

- أوه، كلا! لقد نشأت حالتان من الوفاة عن السم، وهذا يشير إلى الطبيب. ثم إنك لا تستطيع أن تتجاهل ما نحن متأكدون منه تماماً، وهو أن آخر شيء تناولته السيدة روجرز كان المنوم الذي أعطاه لها.

- نعم، هذا حق.

- ولو حدث وجُنّ الطبيب فسيمضي وقت طويل قبل أن

يشك فيه أحد، والأطباء يجهدون أنفسهم في العمل فيرهقون أعصابهم.

- نعم، ولكني أشك في أنه قد قتل مكارثر، فلم يكن لديه وقت كافٍ خلال الفترة القصيرة التي تركته فيها، إلاّ إذا كان قد أسرع إلى هناك ثم عاد. وأنا أشك في أن لديه المقدرة على هذا العدو دون أن يترك فيه أثراً واضحاً.

- إنه لم يفعلها وقتها، لقد أتيحت له الفرصة فيما بعد.

- متى؟

- عندما ذهب ليستدعي الجنرال لتناول الغداء.

وعاد لومبارد إلى صفيره الخافت ثم قال: وهكذا تعتقدين أنه قتله عندئذٍ؟ يا لها من أعصاب باردة!

- وأي خطورة كان يتعرض لها؟ إنه الشخص الوحيد هنا ذو الدراية الطبية، ويمكنه أن يقسم بأن الجريمة قد ارتُكبت منذ ساعة على الأقل، فمَن ذا الذي يعارضه؟

- أتعرفين؟ إنها فكرة رائعة. إنني لأعجب...

-٢-

- من هو يا سيد بلور؟ هذا ما أريد أن أعرفه. من هو؟

كان وجه روجرز منفعلاً وقد تقلصت يداه على قماش التنظيف الذي يمسك به. وقال بلور، مفتش الشرطة السابق: هذه هي المشكلة يا عزيزي.

- أهو واحد منا كما يقول سعادة القاضي، أي واحد؟ هذا ما أريد أن أعرفه، من هو الشيطان الذي يتخفى في مظهر البشر؟

- هذا ما نود جميعاً معرفته.

- ولكن لا بدّ أن لديك فكرة عنه يا سيد بلور. أليس كذلك؟

- ربما كانت عندي فكرة، ولكنها تحتاج إلى كثير من التأكد، فقد أكون مخطئاً. وكل ما أستطيع أن أقوله هو أنه إذا صحّ ما أفكر فيه فإن الشخص المعني هو شخص هادئ الأعصاب للغاية، شخص فاقد المشاعر للغاية حقاً.

مسح روجرز العرق من فوق جبينه وقال بصوت خشن: إن الأمر يبدو كحلم مخيف، أليس كذلك؟

- ألديك أية فكرة يا روجرز؟

هزّ الساقي رأسه وقال بصوت خشن: لا أعلم، لا أعلم على الإطلاق. وهذا ما يخيفني.

-٣-

قال الدكتور آرمسترونج بعنف: يجب أن نخرج من هنا... يجب، بأي ثمن.

ونظر القاضي من نافذة غرفة التدخين مفكراً. وأخذ يعبث بسلسلة نظارة العين ثم قال: لست أدّعي بالطبع أنني خبير بأحوال الطقس، ولكنني أقول إنه من غير المحتمَل أن يصل أي قارب إلى هنا، حتى لو عرفوا بما نحن فيه، ليس قبل أربع

وعشرين ساعة... إذا هدأت الريح.

وأسقط الدكتور آرمسترونج رأسه بين يديه وأخذ يئنّ، وقال: وفي هذا الوقت نكون قد قُتلنا كلنا في مخادعنا.

- آمل ألاّ يحدث هذا. إنني أزمع أن أتخذ كافة الاحتياطات لمنع حدوث أي شيء من هذا القبيل.

- أتذكر؟ لقد حدثت ثلاث جرائم بالفعل.

- طبعاً، ولكن يجب أن تتذكر أنهم لم يكونوا على حذر، أما نحن فقد أخذنا حذرنا.

- وماذا يمكن لنا أن نفعل؟ عاجلاً أو آجلاً...

- أعتقد أن هناك الكثير الذي نستطيع أن نفعله.

- إننا حتى ليست لدينا أية فكرة عمّن يكون.

- أتعرف؟ إنني ما كنت لأقول هذا.

وحدّق فيه آرمسترونج وقال: أتعني أنك تعرفه؟

قال القاضي بحذر: بالنظر إلى الوقائع الفعلية -كما يحدث في المحاكم- فإنني أعترف بأنني لا أعرف، ولكن يبدو لي بالتفكير في الأمر كله أن شخصاً واحداً معيناً مدان بما فيه الكفاية. نعم، أعتقد هذا.

وحدّق فيه آرمسترونج وقال: لا أفهمك !

-٤-

صعدت الآنسة برنت إلى غرفة نومها وجلست إلى جوار النافذة، ولكنها نهضت بعد برهة من التردد وذهبت إلى مائدة الزينة فأخرجت من أحد أدراجها كراس مذكراتها وفتحته وأخذت تكتب:

حدث اليوم شيء فظيع. لقد توفي الجنرال مكارثر، ولا شك في أن الوفاة قد حدثت نتيجة لجريمة قتل. بعد الغداء ألقى القاضي خطبة عصماء، وهو مقتنع بأن القاتل واحد منا، وهذا يعني أن أحدنا قد تقمصه الشيطان. ولقد شككت في هذا من قبل. بالفعل: أي منا هو؟ إنهم جميعاً يسألون أنفسهم هذا السؤال، لكني وحدي أعلم.

وجلست لحظة بدون حراك وغامت عيناها، ثم تقلصت أصابعها على القلم وكتبت بحروف كبيرة مهتزة: "إن اسم القاتل هو بياتريس تيلور".

وأغمضت عينيها. وفجأة استيقظت منفعلة ونظرت إلى ما كتبته، فمحت بغضب الحروف المهتزة التي سطرت بها الجملة الأخيرة وقالت بصوت خفيض: هل كتبت هذا؟ لا بد أنني على وشك الجنون!

-٥-

اشتدت العاصفة. وكانوا جميعاً في غرفة المعيشة وقد جلسوا متجاورين يراقب بعضهم بعضاً، وعندما دخل روجرز

حاملاً صينية الشاي قفزوا جميعاً.

قال روجرز: هل أرخي الستائر؟ سيزيد هذا من بهجة المكان.

ولما لم يتلق اعتراضاً أرخاها وأضاء نور الغرفة فبدت أكثر بهجة. وقالت فيرا كليثون: هل ستصبين الشاي يا آنسة برنت؟

- لا، صبيه أنت يا عزيزتي. إن هذا الإبريق ثقيل جداً، وقد فقدت لفّتين من الصوف الرمادي، وإن هذا ليضايقني.

وبدأ الجميع في تناول الشاي وتبادلوا حديثاً خفيفاً مرحاً، وفي هذا الجو المرح جاء روجرز وهو ثائر وقال بعصبية: معذرة يا سادة، ولكن هل يعلم أحدكم بما حدث لستارة الحمام؟

فقال لومبارد: ماذا تعني يا روجرز؟

- لقد اختفت يا سيدي. لقد كنت أرخي ستائر كل نوافذ المنزل، ولكني لم أجد ستارة الحمام.

فسأله القاضي: وهل كانت هناك في الصباح؟

- نعم يا سيدي.

قال بلور: ما نوعها؟

- ستارة من الحرير القرمزي.

قال لومبارد: وقد اختفت؟

- نعم يا سيدي.

فأخذوا يتبادلون النظرات، ثم قال بلور: حسناً. وعلى

كل، فما أمرها؟ إنه جنون بلا شك، ولكن هكذا كل ما يجري هنا. وعلى كل حال، إنها لا تهم. لا يمكن قتل إنسان بستارة حريرية، انسَ الأمر.

فقال روجرز: أمرك يا سيدي.

-٦-

أُعد طعام العشاء فتناولوه ثم رفعت الصحاف. كان الطعام مكوناً أساساً من المعلبات، وعندما عادوا إلى غرفة المعيشة كان التوتر أقسى من أن يحتمل. ولما دقت الساعة التاسعة نهضت إميلي برنت واقفة وقالت: سآوي إلى فراشي.

فقالت فيرا: وأنا كذلك.

وصحبهما لومبارد وبلور حتى دخلتا غرفتيهما وأغلقتاها من خلفهما بالرتاج، ثم عاد الرجلان إلى غرفة المعيشة ثانية. وأوى الرجال الأربعة إلى فرشهم بعد ساعة، ورآهم روجرز وهو ينظف غرفة المائدة يصعدون معاً، وسمعهم يتوقفون بأعلى السلم ثم سمع القاضي يقول: لست بحاجة إلى أن أنصحكم بأن تغلقوا غرفكم أيها السادة.

* * *

الفصل الحادي عشر

-١-

كان فيليب لومبارد معتاداً على الاستيقاظ عند شروق الشمس، وقد استيقظ وفقاً لعادته هذا الصباح، ثم اتكأ على مرفقه وأنصت. كانت الريح ما تزال تصفر رغم أن حدتها قد خفتت، ولم يسمع أي صوت للأمطار.

وفي الثامنة اشتد هبوب الريح، ولكن لومبارد لم يسمعها، فقد عاوده النوم. وفي التاسعة والنصف كان جالساً على حافة فراشه ينظر في ساعته، ثم وضعها على أذنه، ثم ابتسم تلك الابتسامة التقليدية الشبيهة بابتسامة الذئب وقال: أعتقد أن الوقت قد حان لكي نفعل شيئاً.

وبعد خمس دقائق كان يدق على باب بلور. وفتح الأخير بابه بحذر، كان شعره مشعثاً وفي عينيه آثار النوم، فسأله لومبارد: أما تزال نائماً إلى هذا الوقت؟ هذا يدل على راحة ضميرك.

- ماذا هناك؟

- هل ناداك أحد؟ هل أحضر لك شاياً؟ أتعرف كم الساعة الآن؟

ونظر بلور خلفه إلى ساعة صغيرة إلى جوار السرير وقال: التاسعة وخمس وثلاثون دقيقة، لا أصدق أنني نمت إلى هذا الوقت. أين روجرز؟

- نفس السؤال الذي أسأله أنا.

- ماذا تعني؟

- أعني أن روجرز مفقود. إنه ليس في غرفته أو في مكان آخر، وإبريق الشاي لا يغلي والنار ليست موقدة.

- يا إلهي! أين ذهب؟ هل خرج إلى الجزيرة؟ انتظر حتى أرتدي ملابسي واسأل الآخرين إن كان لديهم علم بالموضوع.

ومضى لومبارد إلى غرف الآخرين، فوجد آرمسترونج مستيقظاً وقد ارتدى ملابسه، أما السيد جستيس وارجريف فقد أوقظ من نومه مثل بلور، بينما كانت فيرا مرتدية ملابسها وحجرة إميلي برنت خالية.

وسارت المجموعة الصغيرة في أرجاء المنزل. كانت غرفة روجرز خالية كما قال لومبارد، وكان على السرير آثار النائم كما وجدوا موس الحلاقة بجانبه. وقال لومبارد: لقد استيقظ من نومه بالفعل.

وقالت فيرا بصوت خافت جاهدت في الاحتفاظ به ثابتاً: ألا تعتقد أنه مختف في مكان ما ينتظرنا؟

- يا عزيزتي، إنني على استعداد للشك في أي شخص، ورأيي أن نبقى معاً حتى نعثر عليه.

قال آرمسترونج: لا بد أنه خارج هذا المنزل في مكان ما

في الجزيرة.

وقال بلور الذي انضم إليهم بعد أن ارتدى ملابسه دون أن يحلق ذقنه: وإلى أين ذهبت الآنسة برنت؟ هذا غموض آخر.

ولكن ما أن وصلوا إلى الردهة حتى التقوا بإميلي برنت قادمة من خلال الباب الأمامي مرتدية معطفاً واقياً من المطر، وقالت: لا يزال البحر هادراً، لا أعتقد أن أي قارب سيأتي اليوم.

فقال بلور: هل كنت تتجولين في الجزيرة يا آنسة برنت؟ ألا تدركين أن هذا عمل أخرق للغاية؟

- أؤكد لك أنني ظللت ملتزمة حذري يا سيد بلور.

- هل رأيت روجرز؟

- روجرز؟ لا، لم أره هذا الصباح، لماذا تسأل؟

ولحق بهم القاضي بعد أن حلق ذقنه وارتدى ملابسه ووضع طقم أسنانه في فمه، ومضى إلى غرفة المائدة وقال: لقد أُعد الفطور على ما أعتقد.

ودخلوا جميعاً غرفة المائدة ونظروا إلى الأطباق النظيفة المرصوصة وإلى أدوات المائدة، وإلى صف الأكواب الموضوع إلى جانب المائدة. وكانت فيرا أول من لاحظت الأمر وقبضت على ذراع القاضي الذي ذعر من قسوة قبضتها بأصابعها الرياضية، وصرخت: التماثيل! انظروا.

لم يكن في وسط المائدة سوى ستة تماثيل فقط.

-٢-

وسرعان ما عثروا على جثته.

كان ملقى في غرفة الغسيل الموجودة في الفناء. لقد كان يعد خشباً لإيقاد الفرن، وكان ما يزال ممسكاً بالبلطة الصغيرة، بينما بلطة أكبر مستندة إلى الحائط وقد تلوث نصلها، وكان حجم النصل يتناسب مع الجرح العميق في مؤخرة رأس روجرز.

-٣-

قال آرمسترونج: الأمر في غاية الوضوح، لا بد أن القاتل قد تسلل خلفه وقتله بضربة واحدة من البلطة بينما كان منحنياً لتكسير الخشب.

كان بلور مشغولاً بفحص مقبض البلطة وآثار الدقيق القادمة من المطبخ، وتساءل القاضي: هل تحتاج ضربة كهذه إلى قوة كبيرة يا دكتور؟

- تستطيع المرأة أن تقوم بها، إذا كان هذا هو قصدك من السؤال.

ونظر حوله. كانت المرأتان قد عادتا إلى المطبخ فواصل حديثه قائلاً: تستطيع الفتاة ارتكابها، إنها مدرّسة ألعاب، أما مظهر الآنسة برنت فيوحي بأنها من النوع الضعيف، ولكن هذا النوع من النساء يخفي كثيراً من القوة.

وقف بلور وهو يتنهد وقال: لا توجد آثار للبصمات. لقد مُسح مقبض البلطة فيما بعد.

وفجأة سمعوا صوت ضحكة فالتفتوا بحدة. كانت فيرا تقف في الفناء، وقد صاحت بصوت حاد تهزه ضحكات وحشية: هل يحتفظون بنحل في هذه الجزيرة؟ أخبروني، أين أجد عسلاً؟ ها ها ها!

وحدقوا فيها بلا فهم. كان يبدو كما لو أن الفتاة العاقلة المتزنة قد جنت أمام أعينهم. ومضت تقول: لا تحملقوا هكذا كما لو كنت قد جننت. إن ما أسأله لهو عين العقل، النحل. ألا تفهمون؟ ألم تقرؤوا القصيدة الغبية؟ إنها في غرفكم، لقد وُضعت لكم كي تدرسوها. آه، لو كان لدينا أي فهم لأتينا إلى هنا مباشرة! ألا تذكرون المقطع؟ «سبعة أطفال يقلّمون فروع الشجر». هل قرأتموه؟ والمقطع الثاني! إنني أحفظها عن ظهر قلب: «ستة أطفال يلعبون بخلية نحل»... ولهذا أسأل: أيحتفظون بنحل في هذه الجزيرة؟ أليس هذا مضحكاً؟ أليس هذا أمراً لعيناً؟

وعادت إلى ضحكها الوحشي، فصفعها الدكتور آرمسترونج على وجهها، فلهثت ثم شهقت وابتلعت ريقها ووقفت بلا حراك لبرهة، ثم قالت: شكراً، إنني على ما يرام الآن.

وعاد الهدوء والاتزان إلى صوتها، واستدارت إلى المطبخ وهي تقول: سنُعد أنا والآنسة برنت الفطور. هل يمكن أن تحضروا بعض الأخشاب لإيقاد النار؟

قال بلور: لقد عالجتَ الأمر بحنكة يا دكتور.

- اضطررت لهذا. لا يمكننا أن نقبل الهستيريا وسط هذه المصائب.

كان روجرز قد أعدّ مجموعة من الأخشاب قبل مصرعه، فجمعوها وحملوها إلى المطبخ. وقالت إميلي برنت: شكراً، سنسرع بقدر استطاعتنا. خلال نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة.

- ٤ -

قال بلور للومبارد في صوت خفيض: أتعرف فيمَ أفكر؟

- بما أنك على وشك أن تخبرني فالتخمين لا فائدة منه.

- كانت هناك قضية في أمريكا. فقد لقي رجل عجوز مصرعه هو وزوجته بفأس في منتصف النهار، ولم يكن في المنزل أحد عدا الابنة والخادمة، وثبت أنه لم يكن في مقدورها أن ترتكب الجريمة. أما الابنة فكانت عانساً محترمة في أواسط العمر. كان الأمر بعيداً عن التصديق لدرجة أنهم أفرجوا عنها، ولكن لم يكن هناك حل آخر. فكرت في هذا عندما رأيت الفأس، ولما ذهبت إلى المطبخ ورأيتها: هادئة ولم تهتز لها شعرة، وهذه الفتاة تقبل في هستيرية. حسناً، هذا طبيعي، الشيء المنتظَر حدوثه. ألا ترى هذا؟

- ربما.

- ولكن الأخرى، هادئة ومرتدية تلك المريلة، مريلة السيدة روجرز على ما أعتقد. وتقول: سيكون الفطور معداً في

نصف ساعة أو نحوها. إن هذه المرأة في رأيي مجنونة تماماً. العديد من العوانس يُصَبن بالجنون، جنون الإيمان؛ فتعتقد الواحدة منهن أنها مسخَّرة من الله أو شيئاً من هذا القبيل. إنها -كما تعلم- تقضي وقتها في غرفتها في قراءة الكتب الدينية.

تنهد فيليب لومبارد وقال: هذا لا يثبت أي خلل عقلي يا بلور.

- ثم إنها كانت في الخارج مرتدية معطفاً واقياً من المطر وتقول إنها كانت ترقب البحر.

- لقد قُتل روجرز وهو يعد خشب الوقود، أي أنه قد قُتل فوراً بعد أن استيقظ من نومه، فلم تكن الآنسة برنت في حاجة إلى التجوّل لساعات في الخارج بعدها. وإذا سألتني رأيي فأنا أعتقد أن قاتل روجرز لا بد أن يحرص على أن يظل ملتفاً في أغطية فراشه رافعاً شخيره.

- إنك تبتعد عن النقطة الجوهرية يا سيد لومبارد. لو أن المرأة بريئة لما وجدت الجرأة للتجول في الجزيرة بمفردها. ما كانت لتقول هذا إلاّ إذا لم يكن لديها سبب للخوف، أي إذا كانت هي نفسها المجرمة.

- هذا رأي سديد. نعم، أنا لم أفكر في هذا، وإني لسعيد أنك قد كففت عن الشك فيّ.

- لقد فكرت فيك أولاً. المسدس والقصة الغريبة التي قلتها أو التي لم تقلها، ولكني أدركت الآن أنني كنت متطرفاً في شكوكي، وآمل أن يكون هذا هو نفس شعورك نحوي.

- قد أكون مخطئاً بالطبع، ولكني أشعر أنه ليس لديك ما يكفي من الخيال للقيام بهذا العمل. كل ما أستطيع قوله هو أنه لو كنت أنت المجرم فإنك بذلك ممثل شديد البراعة وأنا أخلع قبعتي تحية لك. ولكن (فيما بيننا يا بلور، ونحن نضع في اعتبارنا أننا سنلاقي حتفنا قبل مرور يوم آخر)، ألم ترتكب ذلك التزوير؟

قال بلور بضيق: لا يبدو أن الحقيقة ستضيف مزيداً من المتاعب. حسناً، إليك بها: لقد كان لاندور بريئاً تماماً. لقد اتصلت بي العصابة ورتبنا الأمر معاً وجعلناه كبش الفداء، وضع في اعتبارك أنني ما كنت لأعترف بهذا لو كان هناك شهود.

- إنه سر بيننا. آمل أن تكون قد حصلت على ربح وافر من العملية.

- لم أحصل على ما أستحقه، فقد خدعتني العصابة الحقيرة. غير أنني حصلت على ترقية على كل حال.

- وعوقب لاندور بسجن مؤبد ثم مات في السجن.

- لم أكن أعرف أنه سيموت هناك، أليس كذلك؟

- نعم، كان هذا من سوء حظك.

- حظي أنا؟ تقصد حظه هو.

- وحظك أيضاً، لأنه بسبب ما حدث فإن حياتك تشرف على نهاية غير سعيدة.

حدّق فيه بلور قائلاً: حياتي؟ أتظن أنني سألاقي مصير روجرز والآخرين؟ لست أنا. إنني آخذ حذري جيداً.

- حسناً، إنني لا أراهن. وعلى كل حال فلو قُتلت أنت فلن أحصل أنا على أي ربح.

- ماذا تقصد يا سيد لومبارد؟

- أعني -يا عزيزي بلور- أنه ليست لديك أية فرصة.

- ماذا؟

- أعني أن عجز مقدرتك على التخيل سيجعلك هدفاً سهلاً. إن مجرماً بمثل خيال السيد أوين يستطيع أن يحيطك بأحابيله في أية لحظة، يختارها هو أو هي.

احمرّ وجه بلور وقال بغضب: وماذا عنك أنت؟

- إن لي مقدرة رائعة على الخيال، ولقد مررت بأزمات أشد من قبل وخرجت منها، وأعتقد... لا أقول أكثر من أنني سأخرج من هذه الأزمة.

-٥-

كان البيض في المقلاة وفيرا تحمّر الخبز وهي تفكر لنفسها: لماذا خرجت على هذه الصورة الهستيرية البلهاء؟ كانت غلطة. احتفظي بهدوئك يا فتاة. وعلى كل فقد كانت تفخر دائماً باتزانها. "كانت الآنسة كليثون رائعة. احتفظت باتزانها وسبحت على الفور خلف سيريل"... لماذا تفكرين

في هذا؟ لقد انتهى كل هذا، انتهى. لقد اختفى سيريل قبل أن يصل إلى الصخرة بمدة طويلة، لقد شعرت بالتيار يسحبها إلى داخل البحر وتركت نفسها له وسبحت في هدوء، طفت حتى وصل القارب أخيراً، وأثنوا على شجاعتها واتزانها. ولكن هوجو لم يفعل، لقد نظر إليها فقط. يا لله! كم جرحتها نظرته.

إنها تفكر في هوجو. أين هو؟ ماذا يفعل؟ هل تزوج؟

وقالت إميلي برنت بحدة: فيرا، إن الخبز يحترق.

- آه، آسفة يا آنسة برنت. يا لغباوتي!

رفعت إميلي برنت آخر بيضة من المقلاة الساخنة، وقالت فيرا وهي تضع قطعة خبز جديدة فوق شبكة المقلاة: إنك هادئة لدرجة رائعة يا آنسة برنت.

- لقد رُبّيت على الاحتفاظ بهدوئي وعدم إحداث ضجة.

- كنتِ مكبوتة وأنت طفلة؟ إن هذا يفسر كثيراً.

ثم قالت: ألست خائفة؟ أوَلا يعنيك أن تموتي؟

تموت؟ لن تموت! قد يموت الآخرون، نعم، ولكن ليس هي، ليس إميلي برنت. إن هذه الفتاة لا تفهم. إن إميلي ليست بخائفة بالطبع، إن آل برنت لا يخافون. لقد واجه قومها الموت أثناء خدمتهم في الجيش دون خوف، ولقد عاشوا حياة ناصعة كحياتها. إنها لم تفعل أي شيء تخجل منه، ولهذا لن تموت بالطبع. "لن يغادر أي منا هذه الجزيرة". من الذي قالها؟ الجنرال مكارثر. لم يبدُ أنه يهتم بالأمر. كان يبدو أنه يرحب بالموت حقيقة. مذنب، من الخطأ أن يفكر أحد بهذه الطريقة.

إن بعض الناس يفكرون بلا اهتمام لدرجة أنهم يقضون على حياتهم بأيديهم. بياتريس تيلور... لقد حلمت ببياتريس في الليلة الماضية، حلمت أنها في الخارج تلصق وجهها إلى النافذة وتئن طالبة أن يسمح لها بالدخول، ولم ترضَ إميلي برنت بالسماح لها بالدخول، لأنها لو فعلت لحدث شيء فظيع.

وأفاقت إميلي لنفسها فجأة. لقد كانت هذه الفتاة تنظر إليها باستغراب وقالت بصوت حاد: هل كل شيء مُعد؟ سنحمل الطعام إلى الداخل.

-٦-

كان تناول الفطور غريباً، كل منهم كان يبدو غاية في الأدب.

- هل أحضر لك مزيداً من القهوة يا آنسة برنت؟

- أتريدين شريحة من اللحم يا آنسة كليثون؟

- قطعة أخرى من الخبز من فضلك.

ستة من الناس كلهم طبيعيون متمالكون لأعصابهم في هدوء، وبداخلهم كانت الأفكار تدور في حلقة مفرغة:

- ثم ماذا؟ ثم ماذا؟ من أنا؟

- هل تفلح الخطة؟ إني لأتساءل، هل تستحق التجربة؟ لو كان هناك وقت كافٍ، يا إلهي! لو كان هناك وقت كافٍ.

- جنون الإيمان، هذا الدافع. ورغم هذا فإن الإنسان لا يصدق كلما نظر إليها، وإذا ما كنت مخطئاً...

- إنه جنون، كل شيء مخبول. سوف أجن. الصوف يختفي... الستارة الحريرية الحمراء... لا معنى لكل هذا.

- الغبي المأفون! لقد صدّق كل كلمة قلتها له. كان سهلاً، يجب أن آخذ حذري رغم هذا، حذراً تاماً.

- ستة من هذه التماثيل الخزفية، ستة فقط. كم سيبقى منها عند حلول الليل؟

ثم سمعت أصواتهم: من سيتناول البيضة الأخيرة؟

- أتريد مربى؟

- شكراً، هل يمكنني الحصول على مزيد من الخبز؟

ستة أشخاص يتصرفون طبيعياً على الإفطار.

* * *

الفصل الثاني عشر

-١-

انتهوا من تناول الوجبة. وتنحنح السيد جستيس وارجريف وقال بصوت آمر: أظن أنه من الصواب أن نلتقي لنتناقش في الوضع. أنلتقي في غرفة الاستقبال بعد نصف ساعة؟

أظهر الجميع موافقتهم على الاقتراح. وبدأت فيرا في جمع الأطباق وهي تقول: سأنظف المائدة وأغسل الأطباق.

فقال لومبارد: سنجمع نحن الأطباق.

- شكراً.

جلست إميلي برنت بعد أن كانت قد وقفت وقالت: يا للأسف!

فقال القاضي: أثمّة يا يضايقك يا آنسة برنت؟

- أنا آسفة. كنت أود مساعدة الآنسة كليثون ولكن لا أدري ماذا دهاني، فأشعر بدوار خفيف.

فأتى إليها الدكتور آرمسترونج وهو يقول: دوار؟ شيء طبيعي، إنها صدمة متأخرة. باستطاعتي أن أعطيك شيئاً.

- كلا.

انطلقت الكلمة من شفتيها كالقذيفة فصدمت كل الموجودين، واحمرّ وجه آرمسترونج، ولم يكن هناك أي شك في دلائل الخوف والشك التي غطت وجهها.

قال آرمسترونج بخشونة: كما تودين يا آنسة برنت.

- لا أريد تناول أي شيء. سأجلس هنا بهدوء حتى يزول عني الدوار.

واصلوا جمع الأطباق ثم غادروا الغرفة، وظلت لبرهة تسمع همهمة الأصوات تأتي إليها من حجرة الغسيل. كان الدوار يخف، وشعرت بنعاس كما لو كانت على وشك النوم، وكان في أذنيها طنين... أو هل كانت هناك نحلة حقيقية في الغرفة؟ وفكرت: إنه يشبه صوت النحلة، النحلة...

وفي الحال رأت النحلة، كانت تزحف على زجاج النافذة.

لقد تحدثت فيرا كليثون عن النحل هذا الصباح. النحل والعسل. إنها تحب العسل!

إن هناك شخصاً في الغرفة، شخصاً مبتلاً يتساقط منه الماء. لقد أتت بياتريس تايلور من النهر. لم يكن عليها كي تراها سوى أن تدير رأسها... لو تستطيع أن تنادي! لم يكن هناك في المنزل سواها، كانت وحدها. وسمعت وقع أقدام، خطوات ناعمة تقترب وراءها، الخطوات المتعثرة للغريقة... وامتلأ أنفها برائحة طيبة.

على زجاج النافذة كانت النحلة تطنّ... تطن. وعندئذٍ أحست باللدغة. إن النحلة تلدغها على جانب رقبتها!

-٢-

جلسوا ينتظرون إميلي برنت في غرفة الاستقبال. وقالت فيرا: هل أذهب وأستدعيها؟

فقال بلور بسرعة: لحظة من فضلك.

فجلست فيرا، ونظروا جميعاً إلى بلور متفحصين فقال: انظروا إليّ جميعكم، إليكم برأيي: إننا لسنا بحاجة في هذه اللحظة لأن نبحث عن سبب لهذه الجرائم أبعد من حجرة المائدة. أقسم على أن هذه المرأة هي التي نبحث عنها.

فقال آرمسترونج: والدوافع؟

- جنون التدين. ما رأيك يا دكتور؟

- من المحتمل حقاً، وليس لديّ أي اعتراض. ولكن ليس لدينا أي دليل بالطبع.

قالت فيرا: كانت غريبة جداً ونحن في المطبخ بعد الإفطار، كانت عيناها...

ثم ارتجفت، فقال لومبارد: لا يمكن أن نحكم عليها من هذا، لقد بدأنا نخرّف الآن.

وقال بلور: هناك شيء آخر. إنها الوحيدة التي رفضت الإدلاء بأي تفسير عن سماع تلك الأسطوانة، ربما لأنه ليس

لديها أي تفسير.

تململت فيرا في مقعدها وقالت: إن هذا ليس حقيقياً، لقد أخبرتني فيما بعد.

فقال وارجريف: وماذا قالت يا آنسة كليثون؟

أعادت فيرا على مسمعهم قصة بياتريس تيلور، فقال القاضي: قصة صريحة تماماً، وأنا شخصياً ما كنت لأجد أية صعوبة في تصديقها. أخبريني يا آنسة كليثون: هل بدت عليها أية متاعب من أثر الشعور بالإثم أو الندم على تصرفها في هذا الموضوع؟

- لا، لقد كانت مطمئنة تماماً.

فقال بلور: قلوب قُدَّت من صخر. تلك العوانس المتعصبات! الحسد غالباً.

فقال القاضي: إن الساعة الآن الحادية عشرة إلاّ خمس دقائق، وأظن أننا يجب أن نستدعي الآنسة برنت للانضمام إلى اجتماعنا.

فقال بلور: ألن تتخذوا أي إجراء؟

- لا أدري أي إجراء يمكننا اتخاذه. إن شكوكنا ما هي إلاّ مجرّد شكوك في اللحظة الراهنة، وعلى كل حال فإنني سأطلب من الدكتور آرمسترونج أن يراقب تصرفات الآنسة برنت باهتمام. دعونا الآن نذهب إلى غرفة المائدة.

وهناك وجدوا إميلي برنت جالسة في المقعد الذي تركوها جالسة عليه، ولمّا كانت تعطيهم ظهرها فإنهم لم يلحظوا أي

شيء سوى أنها لم يكن يبدو عليها أنها تسمع وقع أقدامهم. وعندئذٍ رأوا وجهها مخضباً بالدماء وشفتيها شديدتي الزرقة وعينيها جاحظتين.

وصاح بلور قائلاً: يا إلهي، لقد ماتت!

-٣-

قال السيد جستيس وارجريف بصوته الهادئ الخافت: لقد مضى واحد آخر منا، تأخرنا كثيراً.

وكان آرمسترونج منحنياً فوق المرأة الميتة، وفحص الشفتين ثم هز رأسه وهو يفحص جفنيها.

قال لومبارد بصبر نافد: كيف ماتت يا دكتور؟ لقد كانت على ما يرام عندما تركناها هنا.

جذبت انتباه آرمسترونج علامة الجانب الأيمن من الرقبة فقال: هذا أثر حقنة تحت الجلد.

وجاء صوت طنين من جهة النافذة، فصاحت فيرا: انظروا، نحلة! أتذكرون ما قلته لكم في الصباح؟

فقال آرمسترونج: لم تكن نحلة هي التي لدغتها، لقد رُفعت نحوها يد بشرية بالمحقن.

فسأله القاضي: وما نوع السم التي حقنت به؟

- إنه بالتخمين أحد مركبات السيانيد. من المحتمل أن يكون سيانيد البوتاسيوم، مثل الذي قُتل به أنتوني مارستون. لا

بد أنها ماتت فور أن حُقنت به.

صاحت فيرا: ولكن تلك النحلة! لا يمكن أن يكون الأمر مصادفة.

فقال لومبارد باقتضاب: نعم، إنها ليست مصادفة، إنها اللمسة الجميلة للقاتل! إنه وحش لعوب يحب التمسك بقصيدته اللعينة بقدر الإمكان.

كان صوته مهتزاً لأول مرة. كانت أعصابه تبدو كما لو كانت قد انهارت أخيراً بعد طول مقاومة لموقف وأهوال عصبية، وأضاف محتداً: إنه جنون، جنون مطبق، كلنا مجانين !

فقال القاضي بهدوء: ما زال لدينا -على ما أعتقد- القدرة على الاستدلال. هل أحضر أي منكم محقناً معه إلى هذا المنزل؟

فقال الطبيب بصوت متردد: نعم، لقد أحضرت معي محقناً.

وتسمرت عليه أربعة أزواج من الأعين فقال: كلما سافرت أحمل محقناً، كل الأطباء يفعلون هذا.

فقال القاضي بهدوء: حقاً؟ هلا أخبرتنا يا دكتور أين ذلك المحقن الآن؟

- في حقيبة الملابس بغرفتي.

- ربما أمكننا أن نتحقق من هذا.

وتحلق الخمسة في صمت، وأُفرغت محتويات الحقيبة على الأرض، ولم يكن من بينها المحقن!

- ٤ -

قال آرمسترونج بعنف: لا بد أن أحداً قد أخذه !

ثم ران الصمت على الغرفة، ووقف آرمسترونج مولياً ظهره نحو النافذة وقد تسلطت عليه أربعة أزواج من الأعين ملؤها الشك والاتهام، وأخذ ينقل عينيه من وارجريف إلى فيرا وهو يردد في يأس وضعف: أقول لكم إن أحداً لا بد قد أخذه.

كان بلور ينظر إلى لومبارد الذي بادله النظرة، وقال القاضي: هنا في هذه الغرفة خمسة أشخاص، واحد منا قاتل، والموقف يموج بخطر عظيم، ويجب أن نفعل كل شيء من أجل حماية الأبرياء الآخرين. إنني أسألك -يا دكتور آرمسترونج- عن الأدوية التي تحتفظ بها في حوزتك.

- لدي حقيبة صغيرة من الأدوية. يمكنك أن تفحصها، وستجد بعض الأدوية المنومة، تريونال وبعض الأقراص السلفونال وعلبة من البروميد وبيكربونات الصودا والأسبرين، ولا شيء عدا هذا، ليس لدي أي سيانيد.

- إنني شخصياً أحتفظ ببعض الأقراص المنومة، سلفونال على ما أظن، وأعتقد أنها يمكن أن تقتل لو استعملت بكثرة. وأنت يا سيد لومبارد تحتفظ بمسدس معك.

فقال لومبارد بحدة: وأي شيء في هذا؟

- ليس لدي إثبات للوقائع. أقترح جمع أدوية الطبيب، وما عندي من أقراص السلفونال، ومسدسك، وأي شيء من

هذا القبيل ووضعها مكان آمن.

فقال لومبارد: عليّ اللعنة لو أعطيتكم مسدسي.

- سيد لومبارد، إنك شخص صغير السن قوي البنية، إلا أن السيد بلور قوي هو الآخر ولا أعرف ماذا ينتج عن عراك بينكما، ولكنني أقول لك إنني سأكون في جانب السيد بلور، وكذلك الدكتور آرمسترونج والآنسة كليثون، وأعتقد أنك ترى أن الكفة لن تكون في صالحك لو حاولت المقاومة.

ألقى لومبارد برأسه إلى الخلف وقال مزمجراً: حسناً، ما دمت قد رتبت الأمر هكذا.

- أنت شاب عاقل، أين هذا المسدس؟

- في درج المائدة المجاورة لسريري.

- حسناً.

- سأحضره.

- أعتقد أنه من المستحسن أن نذهب كلنا معك.

- يا لك من شيطان متشكك!

ومضوا إلى غرفة لومبارد، وذهب لومبارد إلى درج المائدة ففتحه ثم تراجع محتداً. لقد كان الدرج خالياً!

– ٥ –

قال لومبارد متسائلاً: هل اطمأننتم؟

كان قد خلع ملابسه ففتشه الرجال الثلاثة هو وحاجياته بدقة بينما بقيت فيرا في الخارج، وبعد ذلك فتشوا آرمسترونج فالقاضي ثم بلور. وخرج الرجال الأربعة من غرفة بلور واقتربوا من فيرا. وقال القاضي: أرجو أن تفهمي يا آنسة كليثون أننا لا يمكن أن نستثني أحداً، يجب العثور على ذلك المسدس. والآن إذا بقيت هنا فإننا سنفتش غرفتك.

انتظرت فيرا في صبر في الممر حتى عادوا، وقال القاضي: نحن الآن واثقون من شيء واحد. ليس هناك أي سلاح أو أدوية في حوزة أي واحد منا نحن الخمسة، وهذا حسن. والآن سنضع الأدوية في مكان آمن. أعتقد أن هناك صندوقاً من النحاس في غرفة الغسيل، أليس كذلك؟

فقال بلور: هذا حسن، ولكن من الذي سيحتفظ بالمفتاح؟ أنت على ما أعتقد.

ولم يجب السيد وارجريف، وذهب إلى غرفة الغسيل والآخرون خلفه، وكان هناك صندوق من النحاس لحفظ الأطباق وأدوات المائدة. وبتعليمات من القاضي وضعوا الأدوية في الصندوق ثم أغلقوه، وبتعليماته أيضاً وضعوا الصندوق في خزانة بالحجرة وأغلقوها أيضاً. وعندئذٍ أعطى القاضي مفتاح الصندوق لفيليب لومبارد ومفتاح الخزانة لبلور. ثم قال: أنتما أقوانا جسمانياً، وسيكون من الصعب على أيكما

الحصول على مفتاح الآخر، ومن المستحيل على أي منا نحن الثلاثة الباقين أن نفعل هذا، كما أن كسر الخزانة أو الصندوق سيحدث ضجة تلفت الأنظار.

وتوقف قليلاً قبل أن يضيف: ولكن ما نزال نواجه مسألة خطيرة. ماذا حدث لمسدس السيد لومبارد؟

فقال بلور: يبدو لي أن صاحبه هو أقدر الناس على معرفة ما حدث له.

ابيَضّ أنف لومبارد قبل أن يقول: إنني أقول لك أيها اللعين الغبي أنه قد سُرق.

فسأله وارجريف: متى رأيته آخر مرة؟

– الليلة الماضية. كان في الدرج عندما أويت إلى الفراش، وكان مجهزاً لاحتمال حدوث أي شيء. لا بد أنه قد سُرق هذا الصباح خلال البحث عن روجرز أو بعد العثور على جثته.

قالت فيرا: لا بد أنه مخبأ في مكان ما بالمنزل، يجب أن نبحث عنه.

فقال القاضي: أشك في أن بحثنا ستكون له نتيجة. لقد كان لدى القاتل من الوقت ما يكفي لإخفائه في مكان أمين، ولا أتخيل أننا سنعثر على هذا المسدس بسهولة.

فقال بلور: لا أعرف أين يوجد ذلك المسدس، ولكن أراهن على أنني أعرف أين يوجد المحقن. اتبعوني.

وفتح الباب الأمامي وقادهم إلى خلف المنزل، وعلى

بعد قليل من نافذة غرفة المائدة وجدوا المحقن، وإلى جواره كان تمثال محطم... التمثال الخزفي السادس!

قال بلور بارتياح: المكان الوحيد المتاح له، فبعد أن قتلها فتح النافذة وألقى بالمحقن ثم بالتمثال.

لم تكن هناك أية بصمات على المحقن، كان قد مسح بعناية. وقالت فيرا: والآن دعونا نبحث عن المسدس.

فقال القاضي: بكل وسيلة، ولكن لنعمل على أن نظل معاً، وتذكروا أنه لو انفصل بعضنا عن بعض فسوف تتاح الفرصة للقاتل.

وفتشوا المنزل جيداً من أعلاه إلى أسفله دون جدوى.

* * *

الفصل الثالث عشر

-١-

واحد منا، واحد منا، واحد منا!

كلمتان تُردّدان في رؤوسهم باستمرار. خمسة أشخاص مذعورون، خمسة أشخاص يراقب بعضهم بعضاً وقد توقفوا عن محاولة إخفاء قلقهم. كانوا كلهم يجلسون في غرفة الاستقبال، ولا يغادر الغرفةَ منهم سوى شخص واحد في كل مرة بينما يجلس الأربعة الآخرون يترقبون عودته.

وتناولوا غداءهم في المطبخ، غداء من محتويات العلب المحفوظة. وعندما دقت الساعة الخامسة قفزوا جميعاً، وقالت فيرا: هل يريد أحدكم تناول الشاي؟

وران صمت لبرهة ثم قال بلور: أنا أريد.

فنهضت فيرا وهي تقول: سأذهب لإعداده، يمكنكم أن تنتظروني هنا.

فقال القاضي: أظن -يا آنستي العزيزة- أننا نفضل كلنا أن نراقبك وأنت تصنعينه.

دُهشت فيرا، ثم ضحكت ضحكة هستيرية قصيرة وقالت: بالطبع.

وذهب الخمسة إلى المطبخ، وأعدت فيرا الشاي ثم شربته هي وبلور، أما الثلاثة الآخرون فقد تناولوا العصير. ثم عادوا جميعاً إلى غرفة الاستقبال، وكانت الغرفة مظلمة فضغط لومبارد على زر الإضاءة، ولكن المصابيح لم تُضَأ، فقال: طبعاً، لقد سخن المولد إذ ظل يعمل طول اليوم منذ مقتل روجرز.

وتردد قليلاً قبل أن يقول: يمكننا أن نذهب ونصلحه على ما أعتقد.

فقال القاضي: هناك حزمة من الشمع، وأظن أن من المستحسن استعمالها.

وذهب لومبارد وحده فأحضر الشمع فأشعل منه خمس شموع، وكانت الساعة تشير إلى السادسة والربع.

-٢-

وفي السادسة والثلث شعرت فيرا أن البقاء في الغرفة أصبح لا يطاق، وفضلت أن تصعد إلى غرفتها لتستحم كي تهدأ أعصابها. ونهضت فأخذت معها شمعة ثم غادرت الغرفة وأغلقت بابها على الرجال الأربعة، وصعدت الدرج ثم سارت في الممر متجهة إلى غرفتها.

ولما فتحت باب غرفتها صدمها شيء فوقفت متصلبة،

وارتجفت وفتحت أنفها. البحر... رائحة من سانت تريدنيك! نعم، إنها نفس الرائحة، لا يمكن أن تخطئها. إن الإنسان يشم رائحة البحر في الجزر بالطبع، ولكن هذه الرائحة مختلفة. إنها تلك الرائحة التي كانت تلفّ الشاطئ في ذلك اليوم والأمواج تغمر الصخور المغطاة بالأعشاب البحرية.

"أيمكنني السباحة إلى الجزيرة يا آنسة كليثون؟ لماذا لا يمكنني أن أسبح إلى الجزيرة؟"...

يا لبشاعة ذلك الصبي الثرثار! لولاه لكان هوجو غنياً ولكان في مقدوره أن يتزوج من الفتاة التي يحبها. هوجو... من المؤكد أن هوجو إلى جوارها الآن. كلا، إنه ينتظرها في الغرفة.

وخطت إلى الأمام فأطفأ تيار الهواء نور الشمعة. وغلبها خوف مفاجئ في الظلام، ثم قالت لنفسها: لا تكوني غبية، كل شيء على ما يرام. إن الآخرين في الطابق الأسفل ولا يوجد أحد في الغرفة. لا يمكن أن يوجد أحد. إنك تتخاذلين أيتها الفتاة.

ولكن الرائحة... رائحة شاطئ سانت تريدنيك. هذا ليس بخيال، إنه حقيقي! وكان هناك شخص ما في الغرفة. لقد سمعت شيئاً، بالتأكيد سمعت شيئاً.

وعندئذٍ، وبينما هي واقفة تنصت، لمست رقبتَها يدٌ باردة لزجة رطبة لها رائحة البحر!

-٣-

صرخت فيرا، وظلت تصرخ. صرخات ملؤها الرعب، صرخات يائسة تطلب النجدة. ولم تسمع الضجة التي في الأسفل. مقاعد تُقلب وباب يُصفق وأقدام رجال تسرع صاعدة الدرج، لم تشعر إلاّ برعب هائل. وعندما استعادت وعيها كانت الأضواء تلمع في فتحة الباب. شموع، ورجال يهرعون إلى الغرفة.

وارتجفت وخطت إلى الأمام ثم تهاوت على الأرض. كانت تشعر بشخص ينحني فوقها ويحاول إيقاظها، وفجأة تعالت صيحة دهشة تقول: يا إلهي! انظروا إلى هذا.

فاستعادت حواسها وفتحت عينيها، ورفعت رأسها فرأت ما كان الرجال ينظرون إليه: حلقة كبيرة من أعشاب البحر المبتلة معلقة في السقف. كانت تلك الحلقة هي التي كانت تتأرجح مصطدمة برقبتها في الظلام.

وبدأت تضحك بطريقة هستيرية وقالت: لقد كانت أعشاب بحرية، مجرد أعشاب بحرية، وكانت هي مصدر الرائحة.

ثم أغمي عليها من جديد، وعاود شخص ما محاولة إيقاظها. ومضى وقت طويل، وكانوا يقدمون لها شيئاً ما لتشربه ضاغطين الكأس إلى شفتيها، وكانت على وشك أن تجرعها عندما تذكرت الحذر فجلست ودفعت الكأس بعيداً وقالت بحدة: من أين أتيتم بهذا الشراب؟

أجابها بلور قائلاً: لقد أحضرته من أسفل.

- لن أشربه.

وران الصمت برهة ثم قال لومبارد ضاحكاً: هذا حسن يا فيرا، إنك تحتفظين بفطنتك حتى في حالات فقدان وعيك.

قالت فيرا متشككة: إنني على ما يرام الآن، سأتناول بعض الماء.

وساعدها آرمسترونج على المشي حتى وصلت إلى الحوض وملأت كوبها من الصنبور، وقال لها بلور: إن الشراب على ما يرام.

فقال آرمسترونج: ومن أين لنا أن نعلم؟

- لم أضع أي شيء فيه، إن هذا ما تفكر فيه على ما أظن.

- أنا لا أقول إنك قد وضعت فيه شيئاً، ربما تكون قد فعلت أو ربما يكون أي شخص قد سمم الزجاجة من أجل هذه الحالات.

ذهب لومبارد ثم عاد إلى الغرفة حاملاً زجاجة جديدة وفتّاحة، ثم قال وهو يضع الزجاجة أمام عينيها: إليك بها يا فتاتي، ليس فيها أي شيء. من حسن حظك أن المختزن من الشراب الجيد يتوفر في هذا المنزل.

ارتجفت فيرا بشدة، وأمسك آرمسترونج بالكأس فملأها لومبارد، وقال آرمسترونج: من المستحسن أن تشربيها يا آنسة كليثون، لقد تعرضت لصدمة سيئة.

وشربت فيرا قليلاً مما بالكأس فعادت الدماء إلى وجهها، وقال لومبارد ضاحكاً: حسناً، إن جريمة واحدة لم تتم حسب الخطة.

فقالت فيرا هامسة: أتظن أن هذا كان هو الغرض مما حدث؟

– لقد توقع أن تموتي من الخوف. كثير من الناس يموتون لهذا السبب، أليس كذلك يا دكتور؟

أخذ الطبيب الكأس التي أحضرها بلور وتذوقها، ولم تتغير تعبيرات وجهه، وهمهم قائلاً: إن طعمها على ما يرام.

فقال بلور بغضب: إذا قلت إنني قد سممتها فسوف أحطم رقبتك.

قالت فيرا: أين القاضي؟

فنظر الرجال الثلاثة حولهم ثم قال لومبارد: هذا غريب، لقد ظننت أنه حضر معنا.

وقال بلور: نعم، لقد ظننت هذا. ما رأيك يا دكتور؟ لقد كنتَ أنت آخر من صعد الدرج منا.

– ظننت أنه قد تبعني. لكنه كان مضطراً إلى الإبطاء عنا بالطبع، فهو رجل عجوز.

وعادوا ينظر بعضهم إلى بعض، ثم قال لومبارد: هذا غريب.

وصاح بلور: يجب أن نبحث عنه.

وسار إلى الباب والآخرون يتبعونه، وكانت آخرهم فيرا.

وقال لهم آرمسترونج وهم ينزلون الدرج: من الطبيعي أن يكون منتظراً في غرفة الطعام.

وعبروا الردهة، ونادى آرمسترونج بصوت عال: وارجريف، وارجريف، أين أنت؟

ولم يسمعوا رداً. كان صمت غريب يلف أرجاء المنزل ما خلا صوت المطر. وعندئذٍ، وفي مدخل غرفة الاستقبال، وقف آرمسترونج متصلباً. وتزاحم الآخرون خلفه ينظرون من فوق كتفه. وصرخ شخص منهم.

كان السيد جستيس وارجريف جالساً في مقعده ذي المسند العالي في نهاية الغرفة وتحترق شمعتان إلى جانبيه، ولكن الذي صدم الناظرين إليه أنه كان يجلس مرتدياً عباءة قرمزية وعلى رأسه الشعر المستعار الذي يرتديه القضاة.

وأشار الطبيب إلى الآخرين بأن يبقوا في أماكنهم وعبر هو الغرفة إلى الجسد الصامت وهو يهتز كما لو كان سكران، وتقدم وهو يحدق في الوجه الصامت، وبحركة سريعة رفع الشعر المستعار فسقط الشعر على الأرض كاشفاً الجبهة العالية الصلعاء وفي وسطها علامة مستديرة ملطخة يتساقط منها شيء ما.

ورفع الطبيب اليد الخالية من الحياة كي يجس نبضها، ثم استدار إلى الآخرين وقال بصوت خالٍ من أي تعبير (كما لو كان صادراً من بعيد): لقد أُطلقت عليه النار.

فقال بلور: يا لله! المسدس.

قال الطبيب بنفس النبرة الأولى: أطلقت الرصاصة على رأسه مباشرة.

وقفزت فيرا إلى الشعر المستعار وقالت بصوت ملؤه الرعب: كرة الصوف التي فُقدت من الآنسة برنت!

وقال بلور: والستارة القرمزية التي فقدت من الحمام!

همست فيرا: ولهذا السبب أرادهما.

وفجأة ضحك لومبارد ضحكة غير طبيعية وقال: خمسة أطفال في طريقهم إلى المحكمة، وفُقد واحد منهم في تشانسري فلم يبقَ سوى أربعة. هذه هي النهاية، نهاية السيد جستيس وارجريف. لن يعود إلى النطق بالأحكام، وهذه آخر مرة يجلس فيها في قاعة المحكمة حيث لا مزيد من أحكام الإعدام. كم كان إدوار سيتون سيضحك لو أنه كان هنا! يا لله، كم كان سيضحك!

صُدم الآخرون مما قاله لومبارد، وصاحت فيرا: لقد قلت هذا الصباح إنه مجرم.

فتغير وجه لومبارد وقال بصوت خفيض: أعلم أنني قلت هذا. حسناً، لقد كنت مخطئاً. هاكم أحدنا قد ثبتت براءته أخيراً!

* * *

الفصل الرابع عشر

-١-

وضعوا جثة السيد جستيس وارجريف في غرفته، ثم تناولوا عشاء صامتاً في المطبخ من الطعام المحفوظ وصعدوا إلى غرفهم وأغلق كل منهم بابه بإحكام واضعاً خلفه بعض قطع من الأثاث زيادة في الحيطة.

أوى لومبارد إلى فراشه، ومد يده فوضع الساعة فوق الطاولة المجاورة. وفتح الدرج مصادفة فوجد فيه المسدس!

-٢-

ظل بلور متيقظاً وقد جفاه النوم، وفكره يتردد ما بين المسدس الضائع والخوف من المجرم المجهول والشخص البريء الذي أرسله إلى السجن. وفجأة سمع الساعة الموجودة بالطابق السفلي تدق الواحدة.

وتوقفت أفكار بلور وجلس في سريره متيقظاً. لقد سمع أصواتاً، أصواتاً خافتة جداً، في مكان ما خارج غرفته. كان هناك شبه شخص يتحرك في المنزل المظلم. وتساقط العرق

غزيراً فوق جبهته. مَن هذا الذي يتحرك خلسة في صمت في الممر؟ أهو شخص قائم لعمل شرير؟ إنه ليراهن على هذا.

وبهدوء، ورغم خوفه، نزل عن السرير. وفي خطوتين كان يقف خلف باب غرفته ينصت، ولكن الصوت توقف. لكن بلور كان واثقاً من أنه لم يخطئ. لقد سمع وقع الأقدام خارج هذا الباب، ووقف شعر رأسه. لقد عرف الخوف ثانية!

هو شخص يزحف متلصصاً في الظلام. وأنصت، ولكن الصوت لم يتكرر. وراوده إغراء جديد، أراد أن يخرج ويبحث الأمر. لو أمكنه أن يرى من المتلصص في الظلام! ولكن فتح الباب عمل غير حكيم، ومن المحتمل جداً أن هذا هو ما ينتظره المتلصص، وربما كان قصده أن يسمع ما سمع معتمداً على أنه سيخرج من مكمنه ليتحرى الأمر.

وفجأة سمع صوت وقع أقدام حذرة للغاية، ولكنها واضحة لرجل ينصت بكل قواه كما يفعل بلور. ومرّت الأقدام بغرفته دون تردد. ولما حدث هذا استقر رأي بلور على شيء ما. يجب أن يرى من المتلصص، لقد مرت الأقدام بالتأكيد بباب غرفته متجهة إلى الدرج، إلى أين يذهب الرجل؟

وعندما يتصرف بلور فإنه يفعل ذلك بسرعة غريبة على ثقل وزنه وكبر حجمه. عاد إلى السرير وأخذ علبة الثقاب ووضعها في جيبه، ثم أخذ المصباح الكهربي الصغير الموضوع إلى جوار سريره بعد أن نزع أسلاكه. إن قاعدته تصلح كسلاح جيد. وعبر الغرفة بهدوء فأزاح المقعدين من خلف الباب ثم فتح المزلاج دون صوت وخطا إلى الممر.

وفي هذه اللحظة أدرك سر سماعه الأصوات بوضوح، فقد سكنت الريح. ولمح بلور هيئة شخص يمر من باب المنزل الأمامي، وتوقف قبل أن يجري هابطاً الدرج. مرة أخرى كان على وشك أن يرتكب عملاً من أعمال الحماقة، فمن المحتمل أن هذا طعم لإخراجه من المنزل.

ولكن الرجل الآخر لم يدرك أنه قد أخطأ بذلك وأنه قد أوقع نفسه في يدي بلور، فمن بين الغرف الأربع الموجودة لا بد أن تكون واحدة منها خالية، وكل ما عليه هو أن يعرف أيها تلك. وطرق باب غرفة آرمسترونج فلم يجئه أي رد. وانتظر قليلاً ثم ذهب إلى غرفة لومبارد، ومن هذه الغرفة جاء الرد في الحال: مَن هناك؟

- أنا بلور. لا أظن آرمسترونج في غرفته، انتظر برهة.

وأسرع إلى غرفة فيرا فطرقها قائلاً: آنسة كليثون.

- مَن هذا؟ ما الخبر؟

- كل شيء على ما يرام يا آنسة كلثون. انتظري برهة، سأعود إليك.

وأسرع إلى غرفة لومبارد، وما أن وصل إليها حتى كان الباب قد فُتح ولومبارد يقف فيه ممسكاً بشمعة في يده اليسرى ويده اليمنى في جيب سترة منامته، وقال له بحدة: ما الخبر؟

شرح له بلور الأمر بسرعة، فلمعت عينا لومبارد وقال: آرمسترونج؟ أي ضالتنا المنشودة؟ أنا آسف يا بلور، فلم أعد أستطيع الثقة في أي شيء.

قالها وهو يذهب إلى غرفة آرمسترونج، وطرق على باب الغرفة بعنف وهو ينادي آرمسترونج، ولكن لم يجئه أي رد. وانحنى على ركبتيه ونظر من ثقب الباب، ثم دفع بإصبعه الصغير من الثقب وقال: إن المفتاح ليس بالباب من الداخل.

- هذا يعني أنه قد أغلق الغرفة من الخارج ثم أخذ المفتاح معه.

- احتياط طبيعي. سنمسك به يا بلور، سنمسك به هذه المرة. انتظرني قليلاً.

ثم أسرع إلى غرفة فيرا وقال لها: فيرا .

- نعم.

- سوف نطارد آرمسترونج، إنه ليس بغرفته، فلا تفتحي باب غرفتك بأي حال. أتفهمين؟

- نعم، أفهم.

- لو أتى إليك آرمسترونج وقال إنني قد قُتلت أو أن بلور قد قُتل فلا تنصتي إليه. لا تفتحي الباب إلاّ إذا تكلم إليك بلور أو أنا. هل فهمت؟

- نعم، لست بلهاء.

- رائع.

ثم عاد إلى بلور وقال: والآن هيا. لقد بدأت المطاردة.

- يجب أن نأخذ حذرنا، لا تنسَ أن معه مسدساً.

فقال لومبارد وهو يسرع هابطاً الدرج: أنت مخطئ في هذا. ثم فتح الباب الخارجي وقال: لقد رفع لسان القفل إلى

الداخل حتى يستطيع العودة بسهولة. ثم واصل القول: إن المسدس معي. وأبرزه قليلاً من جيبه وأضاف: لقد عثرت عليه ثانية في درج المائدة هذه الليلة.

وتوقف بلور عند عتبة المنزل وقد امتقع وجهه، ورآه لومبارد فقال: لا تكن أحمق يا بلور، لن أطلق عليك الرصاص. عد إلى غرفتك وحصن نفسك إذا أحببت، أما أنا فسأمضي خلف آرمسترونج.

وسار في ضوء القمر، وتبعه بلور بعد تردد قصير.

-٣-

نهضت فيرا وارتدت ملابسها وجلست تنتظر تدور أفكار في رأسها مبعثها الخوف. وفجأة سمعت صوت زجاج يتحطم، وكان مصدر الصوت من الطابق السفلي. وأنصتت ولكن الصوت اختفى. وخيل إليها أنها مجرد أوهام، ولكن سرعان ما سمعت أصواتاً حقيقية لأشخاص يتحركون في الأسفل وهمهمات، ثم صوت شخص يصعد الدرج وأبواباً تُفتح ثم تُغلق وبعض أقدام تصعد إلى غرفة السطح وضجة تأتي من هناك.

وأخيراً عادت الخطوات إلى الممر وجاءها صوت لومبارد يقول: أأنت بخير يا فيرا؟

- نعم، ماذا حدث؟

قال بلور: هلا سمحت لنا بالدخول؟

فتحت لهما الباب بعد أن أزاحت المقعد والرتاج، وكان الرجلان يتنفسان بصعوبة وأقدامهما ونهاية سراوليهما مبتلة. وعادت تسأل: ماذا حدث؟

قال لومبارد: لقد اختفى آرمسترونج!

صرخت فيرا: ماذا؟!

قال لومبارد: لقد اختفى من الجزيرة تماماً.

وأضاف بلور: لقد تبخر، هذا هو الوصف الدقيق.

فقالت فيرا: هراء، إنه يختفي في مكان ما.

فقال بلور: كلا، أؤكد لك أنه لا يوجد في الجزيرة أي مكان يختبئ فيه، والقمر يسطع وكل شيء واضح كما لو كنا بالنهار، ولم نجده!

قالت فيرا: لقد عاد إلى المنزل.

فقال بلور: لقد فكرنا في هذا ففتشنا المنزل أيضاً، ولا بد أنك قد سمعتِنا. إنه ليس هنا، أؤكد لك. لقد مضى، تبخر تماماً.

قالت فيرا متشككة: لا أعتقد ذلك.

فقال لومبارد: إن هذا حقيقي يا عزيزتي. وهناك حقيقة صغيرة أخرى، لقد تحطم لوح زجاج بغرفة المائدة، وليس هناك سوى ثلاثة تماثيل صغيرة فوق المائدة!

* * *

الفصل الخامس عشر

-١-

أمضوا الصباح كله جالسين فوق قمة الجزيرة يرسلون بانعكاس أشعة الشمس على مرآة إشارات مورس طالبين النجدة، ولكنهم لم يتلقوا أي رد. وكان الموج عالياً، ولذا لم يروا أي قارب على صفحة البحر. وفي الثانية بعد الظهر شعر بلور بالجوع وطلب إلى رفيقيه أن يعودوا إلى المنزل لتناول الغداء، ولكن فيرا رفضت. كانت تفضل الجلوس في الخلاء، فالأمن في الخلاء أكثر منه في المنزل، ثم إن فكرة تناول الطعام المحفوظ أثارت في نفسها الغثيان. ووافقها لومبارد على رأيها وأصرّ بلور على تناول الطعام فعاد وحده إلى المنزل.

وظل لومبارد وفيرا يتجادلان في أمر آرمسترونج. كانت مصرّة على أن آرمسترونج لم يمت وإنما اختفى في انتظار جريمته التالية، بينما كان لومبارد يعتقد أن آرمسترونج قد قُتل وإن بلور هو المجرم.

وبينما هما يتجادلان صاحت فيرا فجأة: ما هذا؟ هل حدث زلزال؟

- لا، لا. شيء غريب، لقد سقط شيء ثقيل على الأرض، وأظن أنني سمعت صرخة قصيرة. لقد سمعتها.

حملقا في المنزل، وقال لومبارد: لقد أتت من هناك، من هناك. من المستحسن أن نذهب لنرى ما حدث.

- كلا، كلا، لن أذهب.

- كما تحبين، ولكني ذاهب.

- حسناً، سأذهب معك.

هبطا المنحدر إلى المنزل، وكانت الشرفة تبدو هادئة تحت أشعة الشمس. وترددا عندها برهة، وبدلاً من أن يدخلا المنزل من الباب الأمامي آثرا الدخول من الباب الاحتياطي ليدورا حول المنزل. وهناك عثرا على بلور. كان منطرحاً على أرض الشرفة وقد حطمت كتلة رخامية رأسه!

ونظر لومبارد إلى أعلى ثم قال: نافذة من تلك التي تعلونا؟

- نافذتي، وتلك هي الساعة التي كانت موضوعة على رف المدفأة، لقد تذكرتها الآن، كانت على شكل دب.

وأمسك لومبارد بكتفيها وقال: هذا يحسم الأمر. إن آرمسترونج مختبئ في مكان ما بالمنزل، ويجب أن أعثر عليه.

-٢-

لكن فيرا أمسكت به وصرخت: لا تكن أبله، إنه في انتظارنا الآن. نحن التاليان في قائمة جرائمه. إنه يريدنا أن نبحث عنه، إنه في انتظار هذه الخطوة.

وتوقف لومبارد وقال مفكراً: في قولك شيء من الصدق.

- وعلى كل حال فهل تعترف الآن بأنني كنت على حق؟

- نعم، إنه آرمسترونج. ولكن أين اختبأ؟

- إذا كنت لم تعثر عليه في الليلة الماضية فلن تعثر عليه الآن. لا بد أنه قد أعدّ مكاناً سرياً من قبل ليختبئ فيه.

-٣-

قررا أن يقضيا الليلة في العراء، وأخذا يتجولان في الجزيرة. وفجأة توقف لومبارد في مكانه وقال بحدة: ما هذا؟ انظري هناك إلى جوار الصخرة الكبيرة. لا، أبعدي قليلاً، ناحية اليمين.

دُهشت فيرا وقالت: تبدو كما لو كانت ثياب شخص ما، دعنا نذهب ونتأكد منها.

وبينما كانا يقتربان منها قال لومبارد: إنها ثياب، خرقة من الثياب، وهذا حذاء ذو رقبة. دعينا نقترب أكثر.

وفجأة وقفت فيرا وقالت: إنها ليست ثياباً، إنها رجل!

كانت الجثة التي قذفها التيار إلى هذا المكان محصورة بين صخرتين، ووصل لومبارد وفيرا إليها وانحنيا فوقها. وجه قرمزي مشوه، وجه شوهته آثار الغرق.

وصاح لومبارد: يا إلهي! إنه آرمسترونج!

* * *

الفصل السادس عشر

-١-

ضحك لومبارد وقال: هذه هي الحقيقة إذن يا فيرا.

- ليس هناك أحد على هذه الجزيرة على الإطلاق ما عدانا نحن الاثنين.

- بالضبط، وهكذا يعرف كل منا موقفه، أليس كذلك؟

- كيف تمت خدعة تمثال الدب؟

- خدعة ماكرة يا عزيزتي، متقنة تماماً.

وفكرت فيرا: لماذا لم أرَ وجهه على حقيقته من قبل؟ ذئب، وجه ذئب... تلك الأسنان المخيفة!

وقال لومبارد: هذه هي النهاية، أتفهمين؟ لقد وصلنا إلى الحقيقة الآن، وهذه هي النهاية.

- أفهم هذا.

وحملقت في البحر. لقد حملق الجنرال مكارثر في البحر. متى؟ بالأمس فقط؟ أم كان ذلك في اليوم السابق؟ ولقد قال أيضاً إنها النهاية. لقد قالها برضا وترحيب، ولكن الكلمة بعثت في نفس فيرا ثورة. كلا، لن تكون النهاية.

ونظرت إلى القتيل وقالت: مسكين يا دكتور آرمسترونج!

- ما هذا؟ شفقة أنثوية.

- ولم لا؟ أليس لديك شفقة؟

- ليست لديّ شفقة عليك، ولن تصدر مني !

- يجب أن ننقله، احمله إلى المنزل.

- كي ينضم إلى الضحايا الآخرين؟ كلهم مرتبون ونظيفون. يمكنه أن يبقى هنا.

- إذن لنجره بعيداً عن التيار على الأقل.

- كما تشائين.

وانحنى وأخذ الجثة، وانحنت فيرا إلى جواره تساعده بكل قواها. وقال لومبارد: هذه ليست بالمهمة السهلة.

ولكنهما أدياها على كل حال وسحبا الجثة بعيداً عن التيار، ثم قال لومبارد وهو يبتسم: هل استرحت؟

- تماماً.

كان في نغمة صوتها ما يخيف فقفز إلى الخلف، وأدرك قبل أن تصل يده إلى جيبه أنه سيجده خالياً. كانت قد ابتعدت مترين وواجهته والمسدس في يدها. وقال لومبارد: أي أن هذه هي شفقتك الأنثوية. لقد أردت أن تسرقي المسدس من جيبي؟

أومأت برأسها، وكانت تمسك بالمسدس بثبات. لقد أخذ الموت يقترب من فيليب لومبارد الآن، ولم يحدث أبداً أن كان

الموت قريباً منه إلى هذه الدرجة. ورغم ذلك فيجب ألاّ يهزم.

قال لومبارد لفيرا آمراً: أعطيني هذا المسدس.

ضحكت فيرا، فقال لومبارد: هيا، ناوليني المسدس.

وأخذ عقله يعمل بسرعة: أي طريق، أية طريقة؟ أتكلم إليها، أم أقنعها بهدوء، أم أقفز عليها فجأة؟ ثم قال يخاطبها: انظري يا فتاتي العزيزة، استمعي إليّ.

ثم قفز بسرعة كالفهد، وبآلية ضغطت فيرا على الزناد فتوقف جسد لومبارد في منتصف الطريق متراخياً، ثم سقط على الأرض.

-٢-

حلّت السكينة على فيرا. أخيراً انتهى الأمر ولم يعد هناك خوف ولا أعصاب متوترة. لقد أصبحت وحيدة فوق الجزيرة، وحيدة بصحبة تسع جثث.

ولكن فيمَ يهم هذا؟ إنها حية. وجلست سعيدة في أمان. لا مزيد من الخوف.

-٣-

وأخيراً، وبينما الشمس تغرب، حل التعب بفيرا وأدركت أنها جائعة فقامت إلى المنزل. يا للسكون! عادة يخاف المرء من النوم في منزل في كل غرفة من غرفه جثة، ولكنها متعبة.

وترددت على باب المطبخ: أتدخل وتأكل؟ إنها متعبة جداً. وتوقفت أمام باب غرفة المائدة. كان لا يزال فوق المائدة ثلاثة تماثيل خزفية. وضحكت فيرا، والتقطت تمثالين فألقت بهما من النافذة وأخذت الثالث في يدها وهي تقول: يمكنك أن تأتي معي يا عزيزي، لقد انتصرنا، لقد انتصرنا.

وبدأت فيرا ترتقي الدرج وفي يدها التمثال الصغير: طفل صغير واحد بقي وحيداً، كيف انتهت القصيدة؟ آه، نعم.

- لقد تزوج، وهكذا لم يبق أحد.

تزوج؟ أمر مضحك أن ينتابها فجأة مرة أخرى الشعور بأن هوجو موجود بالمنزل. نعم، إن هوجو ينتظرها في الطابق العلوي.

خاطبت نفسها: لا تكوني بلهاء، إنك متعبة وتتخيلين الأشياء.

وصعدت الدرج ببطء، وعلى قمة الدرج سقط منها شيء ما فوق السجادة فلم يحدث صوتاً. ولم تلحظ أنها أسقطت المسدس، فهي لم تكن واعية أبداً إلاّ للتمثال الخزفي في يدها. يا لهدوء المنزل! ورغم هذا لا يبدو كمنزل خالٍ! إن هوجو ينتظرها في الطابق العلوي!

«طفل صغير واحد بقي وحيداً». ما هو السطر الأخير في القصيدة؟ شيء عن الزواج، أم كان شيئاً آخر؟

ووصلت إلى باب غرفتها. إن هوجو ينتظرها في الداخل، إنها متأكدة من هذا. وفتحت الباب، وشهقت. ما هذا؟ ما هذا

الذي يتدلى من خطاف بالسقف؟ إنه حبل ذو أنشوطة على أتم استعداد ومقعد للوقوف عليه، مقعد يزاح بعيداً.

هذا هو ما أراده هوجو. آه! إن السطر الأخير هو: «فذهب وشنق نفسه فلم يبق أحد».

وسقط التمثال الخزفي من يدها فتدحرج وانكسر. وتحركت فيرا آلياً... هذه هي النهاية. وتسلقت المقعد وعيناها تحدقان إلى الأمام كمن يسير نائماً، ووضعت الأنشوطة حول رقبتها. هوجو قائم ليرى كيف ستنفذ ما أراد.

وأزاحت المقعد بعيداً!

* * *

الخاتمة

لم تكن الشرطة التي أتت (بعد أن تلقت إخطاراً من الأهالي الذين وصلوا إلى الجزيرة في اليوم التالي بعد أن عاقهم هيجان البحر يوماً عن تلبية إشارات الاستغاثة التي رآها بعض صبيان الكشافة) لتعرف كيف حدثت هذه الجرائم لو لم تتلقَّ بعد عدة أسابيع رسالة عثر عليها أحد مراكز خفر السواحل في زجاجة ألقت بها الأمواج.

كانت الرسالة من القاضي جستيس بلودي وارجريف. وكان من عادة القاضي أن يدون مذكراته ثم يضعها في زجاجة ويلقيها في البحر، فقد كان تدوين مذكرات بما يعتمل في نفسه من نوازع يريح ضميره، وكان يعتقد أن أحداً لن يطّلع على هذه المذكرات طالما أن الموج يتناقلها في زجاجة.

ولكن الزجاجة التي عثروا عليها كان فيها آخر ما كتب من مذكرات، وانكشف اللغز لرجال الشرطة:

لقد هداني عقلي القانوني إلى أن أصبغ جرائمي بصبغة العدالة التي أفنيت في خدمتها عمري. وبدأت أبحث عن

ضحاياي، ضحايا ارتكبوا جرائم لا يعاقب عليها القانون أو أفلتوا من العقاب لسبب ما.

وكنت معتاداً أن أتحدث مع كل من أقابل حديثاً خلاباً يدلون لي فيه بأسرارهم. وفي أحد المستشفيات أخذت إحدى الممرضات تحدثني عن السكر متخذة حادثة الدكتور آرمسترونج كدليل على قولها، وفي إحدى النوادي حدثني جندي عجوز مغرم بالشائعات بقصة الجنرال مكارثر، بينما أدلى إليّ رجل عائد لتوه من الأمازون بملخص وافٍ لأعمال فيليب لومبارد، وفي جزيرة مايوركا عرفت بما فعلته إميلي برنت، وبطرق مشابهة انضم إلى قائمتي أنتوني مارستون وبلور، وعلى ظهر إحدى السفن عرفت مِن هوجو هاميلتون بما حدث من فيرا كليثون، وبعدها عرفت بجريمة روجرز وزوجته.

ولكني كنت لا أزال محتاجاً إلى ضحية عاشرة، ووجدته في رجل يدعى موريس، وكان سمساراً يقوم بعمليات مريبة كما كان مسؤولاً عن دفع ابنة بعض أصدقائي إلى الانتحار.

وبدأت معالم الخطة تتفتح في مخيلتي. وكان من السهل عليّ أن أشتري الجزيرة متستراً تحت اسم السيد موريس الذي قام بكل العمل نيابة عني ودون أن يكشف عن حقيقتي، ولم يفشل أي جزء من خطتي، ووصل جميع الضيوف إلى الجزيرة في الثامن من شهر أغسطس.

وقبل أن أغادر لندن متجهاً إلى الجزيرة كنت قد رتبت لمقتل موريس. كان الرجل يعاني من عسر هضم مزمن، وقبل

أن يتحرك قطاري من لندن أعطيته حبة دواء يتناولها قبل نومه مباشرة. ولم يكن لديّ أي خوف من أن يترك أية وثيقة خلفه تكشف عما فعلت، فهو لم يكن من هذا الصنف من الرجال.

وقد رتبت جرائم القتل حسب نوع الجريمة، فمَن كانت جريمته أخف وطأة ووزراً يلقى مصرعه أولاً حتى لا يعاني من الخوف والقلق الذي سوف يعانيه من كانت جريمته تستحق عقاباً أشد. وهكذا مات مارستون والسيدة روجرز أولاً، فقد أدركت أن مارستون من الأشخاص المتبلدي الإحساس وليس لديه أدنى إحساس بالمسؤولية، أما السيدة روجرز فقد كانت مدفوعة إلى ما فعلت بتأثير من زوجها.

وكنت قد اتفقت مع إحدى شركات التمثيل (عن طريق موريس) على تسجيل الأسطوانة بحجة المساعدة في إحدى تمثيليات الهواة، وخلال الهرَج الذي حدث عقبها لم يكن من الصعب أن أضع السم في كأس مارستون الخالي. وعندما أحضر روجرز الشراب لزوجته وضعه أولاً على المائدة، وبينما كنت أمرّ بتلك المائدة دسست في الكأس بعض مسحوق الحبوب المنوّمة التي كنت أتناولها.

ولقي الجنرال مكارثر مصرعه دون كثير ألم. لم يسمعني وأنا أقترب خلفه، وكان عليّ بالطبع أن أنتقي الوقت الذي أذهب فيه إليه بدقة حتى لا يراني أحد.

وكما كنت أتوقع من قبل، فقد فُتّش المنزل والجزيرة بدقة بحثاً عن المجرم، ولما لم يجدوا شيئاً ثارت الشكوك في

أنفسهم. وتبعاً لخطتي فقد كان عليّ أن أجد حليفاً، واخترت الدكتور آرمسترونج لهذا الدور. كان يعرفني جيداً، ولذا فقد كنت مطمئناً إلى أن الشك لن يساوره فيّ. كانت كل شكوكه مركزة في لومبارد، ولمّحت إلى أن لديّ خطة قد أحتاج فيها إلى خداع القاتل كي يكشف عن نفسه. وقتلت روجرز في صباح العاشر من أغسطس، وكان يعد الأخشاب لإشعال الفرن فلم يسمعني وأنا أقترب خلفه.

وخلال الهرج الذي حدث بعد مقتل روجرز تسللت إلى غرفة لومبارد وسرقت مسدسه، وكنت أعلم أن معه مسدساً، بل في الحقيقة كنت أنا الذي أمرت موريس أن يؤكد عليه أن يحضر معه مسدساً.

وأثناء تناول الفطور أسقطت آخر حبة لديّ من المنوم في فنجان قهوة إميلي برنت وأنا أناولها إياه، وهكذا كانت في شبه غيبوبة عندما حقنتها بمحلول مركز من السيانيد. وكانت مسألة النحلة لعبة طفولية في الحقيقة، ولكنها أدخلت السرور إلى نفسي بطريقة ما. لقد كنت مغرماً باتباع ما جاء بالقصيدة بدقة.

وبعدها حدث ما توقعته، فقد فُتشنا كلنا بدقة، وعقب هذا أوحيت إلى آرمسترونج بأننا يجب أن ننفذ خطتنا. ونفذنا الخطة في المساء. قطعة من الطين الأحمر فوق الجبهة، والستارة الحمراء والصوف... وهكذا أصبح المسرح معداً، وكان ضوء الشموع الخابي يخفي أية أخطاء، وزيادة في الحرص لم يسمح آرمسترونج لأي منهم بالاقتراب مني.

وتمّت الخطة بنجاح، فقد جمعت صرخة الآنسة كليثون (عندما عثرت على الأعشاب البحرية التي وضعتها في غرفتها) جمعت الرجال الثلاثة في غرفتها، وفي هذه الأثناء تنكرت في صورة قتيل. وحملوني إلى غرفتي، وهذا ما كنت أريده، ونفذ آرمسترونج دوره في الخطة بإتقان. وهكذا لم يعد أي منهم قلقاً من ناحيتي، بل كانوا كلهم يخاف بعضهم بعضاً.

وكنت قد رتبت موعداً مع آرمسترونج خارج المنزل حيث نختبئ في مكان ما خلفه كي نرقب أي شخص يقترب منا دون أن يرانا، ولم يكن يشك فيّ، وهكذا مات غرقاً. كان ذلك سهلاً، فقد دفعته من فوق الصخور إلى البحر الهائج وعدت إلى المنزل. وكان وقع أقدامي هو الصوت الذي سمعه بلور، فبعد أن دخلت غرفة آرمسترونج خرجت منها محدثاً جلبة مقصودة كي يسمعها كل منهم، وعندما وصلت إلى أسفل الدرج سمعت صوت باب يفتح، ولا بد أنهم لمحوا شبحي وأنا أمر من الباب الخارجي.

ومضت دقيقتان قبل أن يتبعوني. وكنت قد درت حول المنزل ثم دخلت من نافذة غرفة المائدة التي كنت قد تركتها مفتوحة، وأغلقت النافذة ثم كسرت زجاجها، وبعدها صعدت إلى غرفتي وتمددت فوق السرير. وكنت قد أعدت المسدس إلى درج لومبارد (وكنت قد خبأته من قبل في قاع أحد صناديق البسكوت ولم يتبادر لذهن أحد أن يبحث هناك).

وجاءت اللحظة التي كنت أنتظرها، ثلاثة أشخاص يخشى

بعضهم بعضاً ومع أحدهم مسدس. وراقبتهم من نافذة غرفتي، وعندما جاء بلور وحيداً إلى المنزل كنت أنتظره حاملاً تمثال الدب الرخامي، وانتهى بلور! ومن نافذتي رأيت فيرا تطلق النار على لومبارد، وما أن فعلت هذا حتى رتبت المسرح في غرفتها.

كانت تجربة نفسية شائعة، هل سيدفعها تأنيب ضميرها وتوترها العصبي عقب قتلها رجلاً (بالإضافة إلى ما يوحيه الجو المحيط بها والقصيدة) إلى الانتحار؟ كنت أعتقد هذا، وتبين أنني كنت على حق. وشنقت فيرا كليثون نفسها أمام عيني، حيث كنت أقف متوارياً خلف الشماعة. والآن، آخر حلقة في الجريمة، تقدمت إلى الأمام ورفعت المقعد ووضعته إلى جوار الحائط.

وبعد، بعد أن أنتهي من كتابة مذكراتي سأضعها في الزجاجة وألقيها إلى البحر، ثم أذهب إلى غرفتي وأرقد على سريري. وفي مقبض باب الغرفة شبكت طرف حبل مطاطي معلق في السقف وفي الطرف الآخر سأشبك المسدس، وسأمسك بالمسدس بمنديل حتى لا تضيع من عليه آثار بصمات الآنسة كليثون، وبعد أن أطلق الرصاص على نفسي لابد أن قوة ارتداد الطلقة ستلقي بالمسدس بعيداً بعد أن يسقط من يدي فيتحرر من الحبل الذي يتحرر هو الآخر من مقبض الباب ويبقى معلقاً من السقف في براءة. ولن يشك أحد في أنه انتحار، بل سيظنونها جريمة أخرى.

وسوف يُعثَر عليّ وأنا مسجى على سريري بكامل هندامي،

مضروباً بالرصاص في جبهتي طبقاً لما سجله ضحاياي في مذكراتهم، وسوف لا يمكن تحديد مواعيد وفاتنا بالضبط وقت فحص الجثث.

عندما ينخفض المد سوف تأتي من الشاطئ الآخر قوارب محمَّلة بالرجال، وسوف يجدون عشر جثث ولغزاً بلا حل فوق جزيرة نيجر.

التوقيع: جستيس وارجريف.

* * *

(تمت)